



# القدس

## من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى



تأليف:

مخلص يحيى برزق

إصدار:

وحدة الدراسات والبحوث

مؤسسة القدس

بيروت - لبنان

أيار (مايو) ٢٠٠٣ م / ربيع الأول ١٤٢٤ هـ

سلسلة أبحاث القدس

(٥)



# القدس من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

تأليف:

مخلص يحيى برزق

إصدار:

وحدة الدراسات والبحوث

مؤسسة القدس

بيروت - لبنان

أيار (مايو) ٢٠٠٣ م

ربيع الأول ١٤٢٤ هـ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لم تلق حاضرة في العالم من اهتمام وتقدير في ميادين الدراسة والبحث والتمحيص التاريخي كالذي لقيته مدينة القدس. وربما لم تحظ منطقة في العالم عبر التاريخ كله، بما حظيت به فلسطين، من اهتمام محلي وإقليمي وعالمي، ليس على مستوى التنظير فقط، وإنما على مستوى الفعل أيضاً.

ومن هنا، يمثل هذا البحث «الإصدار الخامس» ضمن «سلسلة أبحاث القدس» أهمية خاصة، إذ تكمن أهميته في هذا الربط المقدس بين أشرف وأقدس بقعة في الأرض ألا وهي مكة المكرمة حيث تحتضن «المسجد الحرام» رمز الوحدانية والتوحيد، وأبرك وأقدس بقعة بعدها، وهي القدس حيث تحتضن «المسجد الأقصى» رمز العلاقة الخالدة بين الأرض والسماء، وبين «المسجد الحرام» و«المسجد الأقصى» معاني وقيم ومفاهيم ومحطات، حاول الباحث مشكوراً أن يبرزها بدقة وبراعة.

وإننا إذ نتقدم بالشكر والتقدير للأستاذ الباحث «مخلص برزق» الذي قدّم لنا هذا البحث لنشره، فإنه يسرنا أن نسهم في نشر هذه المادة التي وجدنا أنها مفيدة وتساهم في إرساء ثقافة جيدة.

أملين أن نتمكن في المستقبل من نشر المزيد من الأبحاث والدراسات حول القضية والصراع لما يحقق الفائدة لفئات الأمة المختلفة.

والله ولي التوفيق  
وحدة الدراسات والبحوث  
مؤسسة القدس

أهراء

إلى فلسطين الجريحة وهي ترسف في أخلالها..

إلى القدس الحبيبة وهي تن في أصفادها..

إلى المسجد الأقصى وهو يتقلب في ألامه وجراحه..

إلى الطائفة المؤمنة الظاهرة على الحق ببيت المقدس  
والكنافه..

إلى كل العالمين على إعلاء شأن المسجد الأقصى ومكانته..

إلى كل من بذل من أجل ذلك روحه وماله وفكره وسراده قلبه..

أهري هذا الكتاب

مخلص برزق

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

ما أجمل أن يسيل مداد القلم لها كما تسيل دماء العاشقين لها هناك.. في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس..

فالقديس يمانية بقدر ما هي فلسطينية، كما أنها مصرية سعودية عراقية، وقل ما شئت فهي عربية إسلامية تسكن روح كل عربي ومسلم، ولأجلها تخفق القلوب وتفيض المآقي بالعبرات والدموع.. وأمام أسوارها الشماء تتصاغر الكلمات، وتتلعثم العبارات، بين يديها يتقزم كل عمل تقدمه لأجلها، فهي أعظم وأسمى وأكبر من أن نوقئها حقها برصّ كلمات أو تدبيج مقالات أو نظم أبيات للإشادة بها والتغني بمحاسنها..

ألا ما أصعب الكتابة عن القدس في زمن نفقد فيه القدس، ونبحث فيه عن عمر أو صلاح ليعيد لنا قدسنا وشرفنا وطهرنا..

ما أقسى الكتابة عن الأقصى وهو يعاني من وجع الاحتلال ويرسل استغاثاته الأخيرة لنا، ونحن نتواري خلف كلماتنا خجلين من صمتنا وتخاذلنا وقعودنا عن نصرته..

ما أقسى الكتابة عن القدس ونحن لا نملك إلا التحديق عن بعد في صور قبابها ومآذنها المتشحة بالسواد..

ولكننا مع ذلك كله لا نملك إلا أن نقدم على أعتابها بضاعتنا المزجاة أملاً في أن نسهم ولو بشيء يسير في كشف غمامات البغي المطبقة على أنفاس مدينتنا المقدسة واقتلاع غرققات الحقد المحيطة بأقصانا الأسير..

وما هذه المشاركة بهذا الكتاب إلا زفرات مكلوم على فقد عزيزٍ غالٍ عليه. وهل أعز وأعلى من قدسنا الحبيبة ومسجدنا الغالي الأثير؟!

# **الفصل الأول**

## **تعريف عام بالقدس والمسجد الأقصى**

## (١) وصف المسجد الأقصى

يعمد الكثير ممن يكتبون عن المسجد الأقصى على وصف ساحاته بأنها الحرم القدسي الشريف، وهم يجدون من يخالفهم في ذلك على اعتبار أن المسجد الأقصى لم يرد فيه شيء أنه حرم محرم مكة والمدينة، إلا أن حجة الآخرين أنه ثالث الحرمين لشدة الرحال وأن مصطلح الحرم لا يعني بالضرورة إسقاط الأحكام الفقهية الخاصة بالحرم عليه، ولن نقف عند هذا الأمر طويلاً لعلنا أنه لا ينقص من قدر ومكانة المسجد الأقصى ولا أرى أن الوقت ملائم الآن لطرح ذلك الخلاف الفقهي في ظل ما يتعرض له المسجد الأقصى من أخطار محدقة.

لابد لنا ونحن نقوم بوصف حدود وتفاصيل المسجد أن ننوّه إلى ما أسهمت به «انتفاضة الأقصى» الحالية في نشر الوعي بين المسلمين بهوية المسجد الأقصى المبارك وأنه ليس ذلك البناء الذي يتوسط الساحة ذو القبة الذهبية كما يتوهم أكثر المسلمين، وأنه ليس أيضاً البناء المتقدم في صدر «الحرم القدسي» بل هو كل ما دارت عليه أسوار الحرم من أبنية وقباب وأسبلة ومساطب ومآذن وأبواب، وأزيد على ذلك بأن المسجد الأقصى يمتد ليشمل جميع الأماكن التي يستحدثها المصلون للصلاة فيه، ومن ذلك المصلى المرواني الذي إستحدث لكي يتسع للأعداد المتزايدة من المصلين - خاصة في شهر رمضان - وكذلك أية توسعة قد تنشأ فيه وذلك أسوة بشقيقه المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف اللذين تمت توسعتهما بشكل كبير جداً واتفق المسلمون على أن أي توسعة لهما تعتبر جزءاً لا يتجزأ منهما، وهو ما نقوله أيضاً عن المسجد الأقصى حتى لو تضاعفت مساحته أضعافاً مضاعفة رغم أنف الحاقدين من اليهود.

## (٢) حدود المسجد الأقصى وأبوابه

يضم ما يسمى بالحرم القدسي الشريف (ساحة المسجد الأقصى) كل الآثار الإسلامية.. مسجد الصخرة والأقصى وما بينهما من منشآت حتى الأسوار وطول الجهة الشرقية ٤٧٤ متراً، ومن الناحية الغربية ٤٩٠ متراً، ومن الناحية الشمالية ٣٢١ متراً، ومن الناحية القبليّة ٢٨٣ متراً، والمساحة الكلية تبلغ (٢٠٠٠، ٩٠٠، ٢٠١٤٠).

### أبواب المسجد الأقصى:

للحرم أبواب عشرة مفتوحة هي من الشمال إلى الغرب :

١- باب الأسباط.

٢- باب حطة.

- ٣- باب شرف الأنبياء (ويسمونه الباب العتم أو باب الداودية أو باب الملك فيصل).
- ٤- باب الغوانمة (ويسمونه باب الخليل أو باب الوليد).
- ٥- باب الناظر (ويسمونه باب علاء الدين البصير أو باب الحبس أو باب ميكائيل).
- ٦- باب الحديد (ويسمونه باب أرغون).
- ٧- باب القطانين.
- ٨- باب المتوضأ (ويسمونه باب المطهرة).
- ٩- باب السلسلة (ويسمونه باب داود).
- ١٠- المغاربة (ويسمونه باب النبي).
- وهناك أربعة أبواب مغلقة هي :**
- من الغرب :** ١- باب السكينة (ويسمونه باب السحرة).
- ومن الشرق :** ٢- باب الرحمة (الباب الذهبي) ٣- باب التوبة ٤- باب البراق (ويسمونه باب الجنائز).

### (٣) القباب والاسئلة والأبار الموجودة في ساحات المسجد الأقصى

١. قبة السلسلة. ٢. قبة المعراج. ٣. قبة النبي «محراب النبي». ٤. القبة النحوية.
٥. قبة يوسف. ٦. قبة الشيخ الخليلي. ٧. قبة الخضر. ٨. قبة يوسف أغا. ٩. قبة موسى.
١٠. قبة سليمان.

#### الأسئلة الموجودة في ساحات المسجد الأقصى :

هناك سبل كثيرة نذكر منها:

- ١- (سبيل شعلان أو الشعلان) في أسفل الدرج إلى صحن الصخرة وعلى بعد بضعة أمتار من باب الناظر أنشأه الملك المعظم عيسى عام (١٢١٦م).
- ٢- (سبيل قايتباي) تجاه باب المتوضأ وعلى بعد بضعة أمتار منه إلى الشرق وهو من أشهر السبل القائمة في الحرم وأكبرها بناه الملك الأشرف أينال (١٤٥٥م) وجدده الملك الأشرف قايتباي عام ١٤٨٢م ثم جدده السلطان عبد الحميد عام (١٨٢٢م).
- ٣- (سبيل قاسم باشا) ويقع على بعد بضعة أمتار من باب السلسلة إلى الشمال الشرقي أنشأه متولي القدس باشا في أيام السلطان سليمان القانوني عام (١٥٢٧م).
- ٤- (سبيل علاء الدين البصيري ويسمى أيضاً سبيل الحبس) ويقع غربي الحرم تجاه باب الناظر.



٥- (حوض الكأس) يقصده المصلون من أجل الوضوء ويقع بين مسجدي الصخرة والأقصى بناه الأمير تنكز الناصري عام (١٣٢٧م) وهو حصن مدور مبني من الرخام، يجري إليه الماء من قناة تبدأ عند البرك الثلاثة المعروفة ببرك سليمان وهي واقعة على بعد عشرة أميال من القدس إلى الجنوب.

٦- (سبيل البديري) يقع إلى الشرق من باب الناظر في الجهة الغربية لساحة الحرم، تم إنشاؤه في عهد السلطان محمود الأول في سنة ١٧٤٠م. هذا بالإضافة إلى عدد كبير من الصهاريج التي تتجمع فيها المياه من الأمطار والتي تزود الحرم بالماء.

### الآبار الموجودة في ساحة المسجد :

أما مياه الحرم فيذكر أن فيها سبعاً وعشرين بئراً كلها عامرة، خلا اثنتين منها. وفيها من الماء ما يكفي لسكان المدينة القديمة كلهم وليس المصلين الذين يفتدون إلى الحرم في أوقات الصلوات الخمس فحسب ومنها ثماني آبار في صحن المسجد وسبع قريبة من المسجد الأقصى وست إلى الغرب من ساحة الحرم وثلاث في الشرق وواحدة في الشمال.

### (٤) مآذن المسجد الأقصى

للحرم الشريف أربعة مآذن شهيرة هي :

- ١- مئذنة باب المغاربة - في الزاوية الجنوبية ويسمونها المنارة الضخمية بناها القاضي شرف الدين عبد الرحمن بن الصاحب الوزير فخر الدين الخليلي (١٢٧٨م).
- ٢- مئذنة باب السلسلة - غربي الحرم وفوق باب الكنيسة بالتمام بناها الأمير سيف الدين تنكز الناصري عام (١٣٢٩م).
- ٣- مئذنة باب الفوانمة - تقوم في الركن الشمالي الغربي للحرم بجانب باب الفوانمة وقد تم بناؤها بأمر من الملك المنصور حسام الدين لاجين عام (١٢٩٧م) وجددها الأمير تنكز في عهد الملك الناصر محمد قلاوون، ولهذا يسمونها أيضا منارة قلاوون.
- ٤- «مئذنة باب الأسباط» بين باب الأسباط وباب حطة في الناحية الشمالية الشرقية من الحرم أنشأها ناظر الحرمين الأمين سيف الدين قطلوبغا في أيام الملك الأشرف شعبان بن حسن بن الملك الناصر محمد قلاوون عام (١٣٦٧م) وقاعدة هذه المئذنة ثمانية الأضلاع وليست مربعة كبقية المآذن الأخرى.

## (٥) أروقة المسجد الأقصى

أما أروقة الحرم فتقع في نهاية الحرم من الغرب وترجع نشأتها إلى عهد السلطان محمد بن قلاوون عام (١٣٠٧م - ١٣٦٦م) وبعضها أنشئ في عهد السلطان الأشرف شعبان عام (١٣٦٧م) وقد سد الأتراك هذه الأروقة في عهدهم فاتخذوها مساكن لإيواء المهاجرين والمحتاجين من فقراء المسلمين إلا أن المجلس الإسلامي الذي تولى الإشراف على الحرم عام (١٩٢٢م) أزال جدرانها الخارجية وأرجعها إلى ما كانت عليه في عهد المماليك..

## (٦) المسجد الأقصى (مسجد عمر)

كان اسم المسجد الأقصى يطلق قديماً على الحرم القدسي الشريف كله وما فيه من منشآت أهمها قبة الصخرة المشرفة التي بناها عبد الملك بن مروان سنة ٦٩١م وتعد من أعظم الآثار الإسلامية. وأما اليوم فيطلق الاسم على المسجد الكبير الكائن جنوبي ساحة الحرم وهو ما نسعى لتصحيح ذلك الخطأ التاريخي الذي يقع فيه أكثر المسلمين اليوم وسوف نتناول الحديث عن هذا المبنى بالاسم المجازي له «المسجد الأقصى» ويسمى أيضاً مسجد عمر، قال المؤرخ كليرمونت جانو: «إن المسجد الذي بناه عمر كان في نفس الموضع الذي يقوم عليه المسجد الأقصى في يومنا هذا». وقال الأستاذ كرزويل: «إن المسجد الأقصى قد بناه عبد الملك بن مروان مكان مسجد الخليفة عمر». ومعظم المؤرخين المسلمين ينسبون بناءه إلى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان. ويختلف بناء المسجد الحالي عن بناء الأمويين اختلافاً كبيراً. فقد بني المسجد بعد ذلك ورمم عدة مرات: ففي أواخر الحكم الأموي ٧٤٧م حدث زلزال سقط بسببه شرقي المسجد وغربيه. وقد جرت إعادة بناء المسجد زمن الخليفة العباسي المنصور سنة ٧٥٩م. وقع البناء الذي أقامه المنصور بسبب زلزال آخر فأمر الخليفة المهدي بإعادة بناءه. وبني المسجد هذه المرة بعناية كبيرة وأنفقت عليه أموال طائلة. وفي سنة ١٠٣٣م خرب المسجد الأقصى خراباً كبيراً بسبب زلزال آخر فعمره الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله وضيّقه من الغرب والشرق بحذف أربعة أروقة من كل جانب. والأبواب السبعة التي في شمال المسجد اليوم من صنع الظاهر. وعندما احتل الصليبيون القدس غيروا معالم المسجد فاتخذوا جانباً آخر مسكناً لفرسان الإسبتارية، وأضافوا إليه من الناحية الغربية بناء جعلوه مستودعاً لذخائرهم. ولما حرّر صلاح الدين الأيوبي

القدس أمر بإصلاح المسجد الأقصى وإعادة البناء إلى ما كان عليه قبل الاحتلال الصليبي. وجدّد صلاح الدين محراب المسجد وغشاه بالفضيفساء وأتى بالمنبر الرائع الذي أمر نور الدين محمود بن زنكي بصنعه للمسجد الأقصى من حلب ووضع في المسجد.

وقد أجرى السلاطين المماليك، وبعدهم العثمانيون إصلاحات وتعميرات كثيرة في المسجد الأقصى. ولكن شكله العام لم يتغير منذ عهد الأيوبيين. يبلغ طول المسجد الأقصى من الداخل ٨٠م وعرضه ٥٥م.

### (٧) مسجد قبة الصخرة

بناه الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان.. وكان قد رصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين وعهد بإنشائه للعالمين العربيين رجاء الكندي ويزيد بن سلام واستغرق بناؤه ستة أعوام من عام (٦٦٦هـ - ٦٨٥م) إلى عام (٧٣٣هـ - ٦٩١م)، وقرّر الخليفة منح المائة ألف دينار المتبقية من نفقات الإنشاء جائزة للعالمين العربيين لكنهما رفضا وقالوا «نحن أولى أن نزيده من حلي نساءنا فضلاً عن أموالنا فاصرفها في أحب الأشياء إليك، فأمر الخليفة أن تسبك ذهباً وتفرغ على القبة والأبواب». وقد امتاز البناء بروعة الهندسة العربية الممتزجة بالطراز الفارسي والأسلوب البيزنطي.. ويقال أنه كان أجمل بناء في زمانه.

وقد بناه عبد الملك ليكون للمسلمين مسجداً يضاها في بهائه وسحره ما لكنائس النصارى من الروعة ولا سيما كنيسة القيامة، فقد روى عن بعض المؤرخين ومنهم المقدسي أن عبد الملك بن مروان رأى قبة القيامة وكان المسيحيون يحجون إليها من كل صوب خشي أن تؤثر بفخامتها وروعيتها على قلوب ضعاف المسلمين، فاعتزم أن يبني في القدس قبة مثلها أو أحسن وفعل.

وقد تعرّض المسجد لكثير من الأضرار على مرّ الزمان بسبب الزلازل والعواصف والأمطار.. وما من حاكم عربي حكم القدس إلا وكان له شرف ترميمه.

وقبة الصخرة مئمنة الشكل طول كل جانب ٦٧ قدماً، وارتفاع القبة ١٧٠ قدماً، ومبنية على أربع دعائم واثني عشر عموداً، ولمسجدها أربعة أبواب إلى الجهات الأربعة. أما الصخرة فيبلغ طولها ١٧,٧٠ متراً وعرضها ١٣,٥٠ متراً، ويبلغ ارتفاعها عن الأرض نحو ١,٢٥ متر إلى مترين، وينزل إلى المغارة التي تحتها بإحدى عشرة درجة من جهة القبلة وهي محاطة بدرابزين.

## (٨) جغرافية القدس

تقع مدينة «القدس» على هضبة غير مستوية يتراوح ارتفاعها من ٢١٣٠-٢٤٦٩ قدماً.. ومتوسط ارتفاعها فوق سطح البحر المتوسط من اتجاه الغرب ٢٥٠٠ قدم وترتفع تجاه الشرق من سطح البحر الميت ٣٨٠٠ قدماً، وتبعد ٣٢ ميلاً عن البحر المتوسط غرباً.. وحوالي ١٨ ميلاً عن البحر الميت شرقاً و١٩ ميلاً عن الخليل جنوباً و٣٠ ميلاً عن السامرة شمالاً.. وتمتاز مدينة القدس بمناخ معتدل، فهي تقع على خط عرض ٤٥/١٣٣١ شمال خط الاستواء، وعلى خط طول ٢٥/١٣٣٥ شرق غرينتش ويمكن اعتبارها الحد الشرقي لمناخ البحر الأبيض المتوسط المعتدل من حيث درجات الحرارة وهطول الأمطار، وقد أكسبها الموقع الذي تطل فيه على البحر الميت ونهر الأردن من الناحية الشرقية، وعلى ساحل البحر المتوسط من الناحية الغربية بمناخ خليط من المناخ شبه المداري المتوسط الجاف مع صيف حار جاف، وشتاء بارد ماطر، ومعدل سقوط الأمطار يبلغ عشرين بوصة، ويسقط فيها الثلج كل سنتين أو ثلاثة، وتتراوح درجة الحرارة فيها ما بين ٣٢ مئوية في آب - أغسطس إلى ٦ درجات مئوية في كانون ثاني - يناير.

وتحيط بالهضبة التي تقع عليها القدس أودية عميقة أهمها وادي قدرون الذي يعرف باسم الوادي الشرقي ووادي «سلوان» أو «هنم» في الغرب ويلتقي الواديان جنوباً كذلك يمتد من الشمال الغربي للهضبة إلى جنوبها الشرقي وادي الجبانة ويمتد إلى وادي سلوان الذي يصل بدوره بوادي قدرون.

## (٩) أهم جبال القدس

من أهم جبالها جبل الزيتون: الذي يسميه العرب «جبل الطور» وتقع أسوار الحرم في مواجهة الجبل من الجهة الشرقية ويعتقد أن المسيح عليه السلام صعد من هذا الجبل إلى السماء، وفيه دفن جماعة من شهداء المسلمين في الفتحين العمري والأيوبي. ويعتبر جبل بطن الهوا امتداداً لجبل الزيتون من الجنوب الشرقي للقدس، وكذلك جبل المشارف، دُعي بذلك لأنه يشرف على القدس، ويقال له أيضاً «جبل المشهد»، وهو الذي أطلق عليه الغربيون اسم «جبل سكوبس» نسبة إلى قائد روماني، وهو امتداد طبيعي لجبل الزيتون من الشمال الشرقي وحتى الشمال. أما «جبل صهيون» فيقع في الزاوية الجنوبية الغربية للقدس، وكانت توجد عليه القلعة المسماة

«مدينة داود». وهناك «جبل المكبر» جنوبي القدس ويفصل بينه وبين جبل الطور وادي سلوان، وبينه وبين جبل صهيون وادي الربابة، ويقال أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل منه القدس فاتحاً وكبر هو ومن معه فوقه لما أشرف على القدس. أما جبل «بيت المقدس» فيعرف أيضاً باسم «جبل موريا» وهو الذي يقوم عليه الحرم القدسي الشريف. وقيل أنه أطلق عليه «جبل الحرم».

### ( ١٠ ) أسوار مدينة القدس وأبوابها :

الشمالي : ٣٩٣٠ قدماً.

الشرقي : ٢٧٥٤ قدماً.

الجنوبي : ٣٢٤٥ قدماً.

الغربي : ٢٠٨٦ قدماً.

المحيط : ١٢٠١٥ قدماً.

ارتفاع السور : ٣٨ قدماً ونصف، وله أربعة وثلاثون برجاً.

البراق : جزء من السور الغربي، طوله ١٥٦ قدماً وارتفاعه ٥٦ قدماً.

### أبواب سور المدينة :

باب الخليل أو باب يافا: ويقع في الحائط الغربي.

الباب الجديد أو باب عبد الحميد: وهو في الجانب الشمالي للسور على مسافة

كيلومتر غربي باب العمود.

باب العمود أو باب دمشق أو باب النصر، ويقع في منتصف الحائط الشمالي لسور القدس.

باب الساهرة: ويقع إلى الجانب الشمالي من سور القدس على بعد نصف كيلومتر

شرقي باب العمود.

باب المغاربة ويقع في الحائط الجنوبي لسور القدس وهو أصغر الأبواب.

باب النبي داود ويعرف أيضاً باسم باب صهيون وهو في الحائط الجنوبي.

باب الأسباط: ويقع في الحائط الشرقي. وجميع الأبواب السابقة مفتوحة.

باب الرحمة ويسمى الباب الذهبي: ويقع على بعد ٢٠٠م جنوبي باب الأسباط وهو مغلق.

الباب الواحد: مغلق في الحائط الجنوبي قرب الزاوية الجنوبية الشرقية.

الباب المثلث: مغلق في الحائط الجنوبي بعد الباب الواحد وهو مؤلف من ثلاثة

أبواب تعلو كلاً منها قوس.

الباب المزدوج: مغلق في الحائط الجنوبي، وهو من باين يعلو كليهما سور.

## **الفصل الثاني: بين المسجد الأقصى والبيت الحرام**

## المقياس :

للتعرّف على أهمية المبحث الذي نعرضه في هذا الفصل نسوق مثلاً على كيفية التعرّف على مزايا بضاعة ما أو صنف معين للوصول إلى تحديد القيمة والجودة المراد قياسها.. فقد دأبت العديد من الدول على وضع مراكز بحثية لتحديد مقاييس الجودة للمنتجات بأنواعها المختلفة ووضع مواصفات قياسية يتم مقارنة صفات أي منتج بها لتحديد مدى صلاحيته وجودته، فعند اختبار جودة زيت ما - على سبيل المثال - توضع مواصفات قياسية تتضمن نسبة الحموضة واللون واللزوجة والكثافة ودرجة الانصهار والغليان ونسبة الشوائب والتركيّب الكيميائي وغير ذلك وتتم مقارنة الزيت المراد معرفة جودته بتلك المواصفات القياسية وتحديد ذلك تبعاً للنتائج المسجلة..

ومن خلال وضع ذلك المقياس يسهل التعرّف على مزايا أي صنف أو منتج وتصنيفه تبعاً لذلك كمنتج من الدرجة الأولى أو الثانية أو حتى العاشرة.. وإذا كان ذلك المقياس معتمداً لدى البشر في تحديد مواصفات ما يصنعونه ويأكلونه ويشربونه.. فالمقياس الذي وضعه الله للبشر لتحديد مستوى التزامهم وطاعتهم له يتمثل في الأنبياء والرسل المعصومين عن كل خطيئة وزلل، ولذلك اجتهد صحابة رسول الله ﷺ أن يتمثلوا بأقوال وأفعال النبي عليه السلام في أحواله كمقياس ومؤشر لهم على مدى قربهم أو بعدهم عن النموذج القياسي الذي يريده الله تعالى من عباده والذي أمرنا بالاعتداء به فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>١</sup>، وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>٢</sup>، وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حَمَلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾<sup>٣</sup>.

وأمرنا رسول الله ﷺ بذلك فقال: (خذوا عني مناسككم)<sup>٤</sup>، وقال: (..فمن رغب عن سنتي فليس مني)<sup>٥</sup>.

١ الحشر آية ٧.

٢ الأحزاب آية ٢١.

٣ النور ٥٤.

٤ أخرجه مسلم وأبو داود.

٥ متفق عليه.

إنه ذلك المقياس الذي يقي من الإفراط والتفريط ويضمن لكل من يحاول التمثل به الاقتراب إلى حد كبير من الصورة المثلى التي يتطلع إليها المؤمنون جميعاً.. ولعل من نعم الله علينا أن القرآن والسنة الشريفة حفظا لنا تفاصيل دقيقة عن ذلك المقياس فوصلتنا آلاف الأحاديث المبينة لأحوال النبي ﷺ وهديه في أدق الأمور وأصغرها وهو ما لم تحظ به أي أمة من الأمم السابقة، الأمر الذي جعل الاقتداء به أيسر وهامش الخطأ فيه أقل بكثير.. وهو ما جعل أمتنا تمتاز على غيرها من الأمم بوضوح ذلك المقياس وسهولة الاقتداء به..

ولأن موضوع بحثنا يتعلق بالأماكن فقد أوضح الكتاب والسنة لنا مقياساً ونموذجاً نقيس عليه الأماكن لتتعرف على مدى فضلها ومكانتها وبركتها وحب الله لها لنحرص عليها و نحافظ على سلاميتها ونرتادها ونتمسك بها.. وفي المقابل التعرّف على الأماكن السيئة الخبيثة لتتجنبها وتبتعد عنها، فجاء في الحديث الشريف: (إنَّ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ الْمَسَاجِدُ، وَأَبْغَضَ الْبِلَادِ إِلَى اللَّهِ الْأَسْوَاقُ)٦.

وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: (لَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِالْحِجْرِ قَالَ: لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ: أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، ثُمَّ قَنَّعَ رَأْسَهُ، وَأَسْرَعَ السَّيْرَ، حَتَّى جَازَ الْوَادِي)٧.

أما ذلك المقياس والنموذج المكاني الذي أشرنا إليه فهو بلا شك بيت الله الحرام ومكة المكرمة فأى مكان على وجه الأرض يراد معرفة مكانته ومزاياه يتم مقارنته بالبيت الحرام كمقياس ونموذج (Standard)، فكلما زادت النقاط المشتركة والعلاقة بينهما كلما زاد فضل ومكانة ذلك المكان والعكس صحيح.. وهو ما سنعرض له في هذا البحث الذي يتناول الجوانب المتعددة لعمق العلاقة ورسوخها وتجذرها بين المسجد الأقصى والبيت الحرام وهو ما سنشير إليه من خلال عرض ٣٠ نقطة مشتركة بينهما -لا أزعم أنها الوحيدة-، ومن خلال تسليط الضوء على تلك العلاقة المميزة بينهما نكون قد قطعنا شوطاً كبيراً للوقوف على تلك المكانة العالية الرفيعة لبيت المقدس وأكناف بيت المقدس ليكون ذلك دافعاً وحافزاً لكل عربي ومسلم أن يهباً لنصرته ونجدته وبدل الغالي والنفيس لإعادته عزيزاً شامخاً لأحضان أمته.

٦ أخرجه مسلم.

٧ أخرجه البخاري ومسلم.



## مدخل

لا أكاد أستطيع أن أحصي المؤلفات التي كتبت عن فضائل القدس وبيت المقدس والأقصى، ولا أدعي أبداً أنها لم تكن شافية كافية وافية، إلا أنني ومن خلال المنهج الذي اتبعته في هذا البحث قمت بجمع شتات نقاط مبعثرة هنا وهناك في ترتيب معين يخدم موضوعنا الأساسي ليسهل على القارئ الكريم الوصول لأكبر قدر ممكن من الشواهد والاستدلالات بما يعمق قناعته من خلال فيض الدلائل والقرائن التي لا تدع هناك أي مجال للشك بأن قدسنا الغالية تحتل مكانة رفيعة أكبر بكثير مما يتصوره المسلمون..

وبين يدي القارئ الكريم مجموعة من الروابط المشتركة التي تجمع بين المسجد الأقصى والبيت الحرام التي إن دلت على شيء، فإنما تدل على عظمة المسجدين وشدة ارتباطهما معاً وهو ما سنعرض له خلال النقاط التالية التي تجمع بينهما :

### (١) البيت الأول.. والثاني

جاء ثناء الله عز وجل على البيت الحرام بوصفه أول بيت وضع للناس بقوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>٨</sup>.

والمعنى أنه أول بناء بينى لغرض عبادة الله تعالى لا كسائر الأبنية الأخرى التي تبنى للسكن أو التجارة أو غير ذلك.. فهو رمز لعبودية البشر لخالقهم الواحد الأحد.. وإذا كان البيت الحرام قد حاز هذه الميزة فإن المسجد الأقصى أيضاً ناله نصيب من ذلك الشرف العظيم بوصفه ثاني بيت وضع للناس كما جاء في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه «قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أولاً؟ قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة، وأينما أدركتك الصلاة فصل فإنه مسجد»<sup>٩</sup>.

وبذلك يشترك المسجد الأقصى مع البيت الحرام بأنهما بنيا بوحي من الله تعالى ليكونا معلمين من معالم التوحيد على مدى الزمان.

إن الغاية التي بنى لأجلها البيت الحرام هي الأعظم والأرفع والأسمى، ولذلك كان لابد من إسنادها وتعزيزها ببناء آخر (هو المسجد الأقصى) ليكون بمثابة احتياط

٨ آل عمران الآية ٩٦.

٩ رواه البخاري في صحيحه (ك/٦٠/ب/١٠-٤٠).

استراتيجي لخدمة هذه الغاية وهو ما حصل فعلاً، فعندما تلوث البيت الحرام بالأوثان والأصنام التي أقامها المشركون حول الكعبة، كان ذلك تعدياً عليه وتعطيلاً للغاية التي وضع من أجلها ألا وهي العبادة الخالصة لله وحده لا شريك ولذلك كان لا بد للموحدّين من بديل يتجهون إليه فأمرهم الله تعالى بالتوجه نحو بيت المقدس وهو ما يحمل في طياته المفاصلة الشعورية مع كفار مكة إضافة للنواحي التربوية الأخرى للمسلمين والتي أشار إليها الشهيد سيد قطب بقوله : «لقد كان تحويل القبلة أولاً عن الكعبة إلى المسجد الأقصى لحكمة تربوية أشارت إليها آية في هذا الدرس: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَبْعُ الرُّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ﴾.. فقد كان العرب يعظّمون البيت الحرام في جاهليتهم، ويعدونّه عنوان مجدهم القومي.. ولما كان الإسلام يريد استخلاص القلوب لله، وتجريدها من التعلق بغيره، وتخليصها من كل نكرة وكل عصبية لغير المنهج الإسلامي المرتبط بالله مباشرة، المجرد من كل ملابسة تاريخية أو عنصرية أو أرضية على العموم.. فقد نزعه نزعاً من الاتجاه إلى البيت الحرام، واختار لهم الاتجاه -فترة- إلى المسجد الأقصى، ليخلص نفوسهم من رواسب الجاهلية، ومن كل ما كانت تتعلق به في الجاهلية، وليظهر من يتبع الرسول اتباعاً مجرداً من كل إيحاء آخر، اتباع الطاعة الواثقة الراضية المستسلمة، ممن ينقلب على عقبيه اعتزازاً بنكرة جاهلية تتعلق بالجنس والقوم والأرض والتاريخ؛ أو تتلبس بها خفايا المشاعر وحنايا الضمير من قريب أو من بعيد.. حتى إذا استسلم المسلمون، واتجهوا إلى القبلة التي وجههم إليها رسول الله ﷺ. وفي الوقت ذاته بدأ اليهود يتخذون من هذا الوضع حجة لهم، صدر الأمر الإلهي الكريم بالاتجاه إلى المسجد الحرام»<sup>١٠</sup>. وحتى عندما أمر الله المؤمنين بالعودة للتوجه نحو البيت الحرام وهم في المدينة المنورة فقد كان ذلك لحكم كثيرة كان منها الإيذان بقرب عودة البيت الحرام للمؤمنين الموحدّين وقرب تطهيره من الأوثان فضلاً عن إرغام اليهود المشككين المرجفين بأن الله تعالى وحده الذي يختار الوجهة التي يوجه لها عباده المؤمنين.. إذ أن توجه المسلمين إلى بيت المقدس (وهو قبلة أهل الكتاب من اليهود والنصارى آنذاك) كان سبباً في اتخاذ اليهود ذريعة للاستكبار عن الدخول في الإسلام، إذ أطلقوا في المدينة ألسنتهم بالقول بأن اتجاه

١٠ في ظلال القرآن ج ١ ص ١٢٦-١٢٧.

محمد ومن معه إلى قبلتهم في الصلاة دليل على أن دينهم هو الدين، وقبلتهم هي القبلة، وأنهم هم الأصل، فأولى بمحمد ومن معه أن يضيئوا إلى دينهم لا أن يدعوهم إلى الدخول في الإسلام !

وسوف نعرض لمزيد من تلك الحكم الإلهية من الجمع بين المسجدين أول وثاني بيتين وضعا في الأرض في نقطة قادمة.

## (٢) آدم عليه السلام.. أول من بنى المسجدين

هناك روايات كثيرة تتعاضد على أن الذي وضع أساس البيت الحرام هو آدم عليه السلام" وعلى هذا فإن بناء المسجد الأقصى كان في عهد آدم عليه السلام.. قال ابن حجر : «فقد روينا أن أول من بنى الكعبة آدم، ثم انتشر ولده في الأرض، فجاز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس» لكنه استدرك قائلًا: «وقد وجدت ما يشهد ويؤيد قول من قال: إن آدم هو الذي أسس كلاً من المسجدين، فنذكر أن ابن هشام قال في كتاب «التيجان» (أن آدم لما بنى الكعبة أمره الله بالسير إلى بيت المقدس، وأن بينيه، فبناه ونسك فيه).. وهذا تفسير ما جاء في حديث أبي ذر الذي أوردناه في النقطة السابقة..«قلت كم بينهما ؟ قال: أربعون سنة».

وقد ذكر ذلك القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» إلا أنه أورد احتمالاً آخر بقوله: «ويحتمل أن تكون الملائكة قد بنت بيت المقدس بعد بنائها البيت الحرام بإذن الله، ويؤيد ذلك ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «أمر الله تعالى الملائكة ببناء بيت في الأرض، وأن يطوفوا به، وكان هذا قبل خلق آدم، ثم بني منه ما بني، وطاف به ثم الأنبياء بعده ثم استتم بناء إبراهيم عليه السلام».

وسواء كانت الملائكة هي التي بنت المسجدين أو آدم عليه السلام، ففي الحالتين يظهر واضحاً جلياً ما بينهما من رباط يعود إلى آلاف السنين وإلى العمر الأول للبشرية على الأرض، الأمر الذي لم يتسن لأي بقعتين على وجه الأرض أن يرتبطا معاً بذلك الرباط الذي عززته أمور أخرى سنعرض لها خلال النقاط الأخرى التي سنعرض لها فيما بعد..

### (٣) إبراهيم عليه السلام.. رفع قواعد المسجدين

ارتبط البيت الحرام ببيت المقدس في أن إبراهيم عليه السلام رفع بناءهما امتثالاً لأوامر الله تعالى فقام هو وابنه إسماعيل عليه السلام برفع قواعد البيت الحرام ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾<sup>١٢</sup>، قال القرطبي: «إن الآية - أي قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ لا تدل على أن إبراهيم ابتداءً وضعها بل كان تجديداً لما أسس غيرهما»<sup>١٣</sup>.

إن ما أوردناه في النقطة السابقة لا يتعارض مع ما جاء في هذه النقطة إذ أن هناك أدلة كثيرة تشير إلى أن إبراهيم عليه السلام لم يبن الكعبة أو بيت المقدس وإنما رفع قواعدهما التي كانت موجودة من قبل، ومنها:

١. جاء في الحديث: «فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونها، واستقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم﴾.. الآية. والسياق يدل على أن إبراهيم عليه السلام دعا ربه بهذا الدعاء يوم ترك ابنه إسماعيل رضيعاً، ونصوص القرآن تثبت أن رَفَعَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ كان بعد أن وصل إسماعيل سن الشباب، حيث ساعد أباه في البناء، وقوله «عند بيتك المحرم يدل على أن البيت كان موجوداً يوم وضع إبراهيم ابنه إسماعيل، ويكون قد أطلع الله نبيه إبراهيم على حكمة وضع ابنه في هذا المكان.. وما فعل ذلك إلا بأمر الله، حيث جاء في سياق الحديث «فقلت له: آله أمرك بهذا؟ قال: نعم». وربما كان إبراهيم يعلم أن في هذا الوادي بيت الله المحرم، ولكنه لم يكن يعين مكانه إلا عندما أمره الله برفع قواعد فيما بعد، وذلك لما روى ابن حجر في الفتح ٤٠٢/٦ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «وكان الأنبياء يحجون البيت ولا يعلمون مكانه حتى بوأه الله لإبراهيم، وأعلمه مكانه».

٢. وجاء في الحديث الطويل في قصة زمزم: «فإذا هي -أي هاجر- بالملك عند موضع زمزم.. حتى قال: فإن هاهنا بيت الله، يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعاً كالرابية، تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله». فقوله: «يبني هذا الغلام وأبوه» يدل على أنه لم يكن مبنياً، وقوله: «وكان البيت مرتفعاً من الأرض

١٢ البقرة الآية ١٢٧.

١٣ (الجامع لأحكام القرآن ٤/١٣٨، العيني: عمدة القاري ١٥/٣٦٢).

كالرابية» يدل على أنه كان موجوداً أساسه، وإنما يحتاج إلى تجديد ورفع، وذلك لتوالي القرون الطوال على بنائه الأول. وكل هذه النقولات من الحديث الصحيح تدل على أن البيت الحرام كان أساسه موجوداً قبل إبراهيم عليه السلام، وأن الله أمره برفع أساسه، وتهيئته للعبادة.

وعقب عودته من مكة رفع قواعد المسجد الأقصى في القدس حيث كان على علاقة جيدة مع حاكم القدس «ملكي صادق» والذي كان مؤحداً وكان صديقاً له وبقي مركز استقرار إبراهيم في فلسطين وفيها توفى حيث دفن في مغارة المكفيلة في مدينة الخليل التي سميت باسمه عليه السلام.

### (٤) دعاء إبراهيم عليه السلام

إختص إبراهيم عليه السلام مكة وبيت المقدس كلاً بدعوة من عنده أن يهب الله له في كل منهما ذرية تحمل رسالة الله في الأرض من بعده ذرية تكمل المسيرة الإيمانية التي بدأها وهاجر من أجلها إلى فلسطين وقال فيها: «وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ»<sup>١٤</sup> وردد مع ابنه إسماعيل وهما يرفعان قواعد البيت الحرام «رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُرَكِّبُهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»<sup>١٥</sup>، فتحقق له ذلك في مكة وأشرفت جزيرة العرب ببعثة النبي الهادي ﷺ فكان بحق دعوة أبيه إبراهيم عليه السلام كما أخبر بنفسه في الحديث (إني عبد الله وخاتم النبيين وأبي منجدل في طينته وسأخبركم عن ذلك أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة أخي عيسى..)<sup>١٦</sup>.

لقد جاء نبينا ﷺ من ذرية إبراهيم وإسماعيل، يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويطهرهم من الأرجاس والأدناس. وقد تحقق له ذلك في فلسطين أيضاً فما أن استقر إبراهيم عليه السلام فيها حتى نشأت له ذرية - وأكرم بها من ذرية- «توالى من خلالها الأنبياء والرسل على أرض فلسطين المباركة، يحملون رسالة الله ودين الإسلام لتزيد من عمق التصور الإيماني القائم على منهاج الله، ولتثبت حق

١٤ الصافات ٩٩-١٠٠.

١٥ البقرة ١٢٨-١٢٩.

١٦ المستدرک علی الصحیحین ج: ٢ ص: ٤٥٢ برقم ٣٥٦٦. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

الإسلام فيها، وحق الأمة المسلمة فيها، عمقاً وصدقاً وأمانة. ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>١٧</sup>، دين واحد ونبوة ممتدة وأمة مسلمة واحدة لها وحدها الحق الصادق في فلسطين<sup>١٨</sup>، وأولئك الأنبياء كانوا جميعاً مسلمين ولم يكونوا يهوداً أو نصارى.

ونعود هنا لنؤكد أن الأمة الإسلامية هي الوارث الحقيقي لإبراهيم عليه السلام كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>١٩</sup>، فنحن أولى بوراثته لأننا نلتزم بما جاء به من إيمان واعتقاد، لأنحرف ولا نبذل كما فعل اليهود والنصارى، ونحن أتباع محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين الذي جاء بها حنيفية سمحاء مكملًا لما جاء به إبراهيم عليه السلام..

نحن إذن الوارثون الحقيقيون لإبراهيم باتباعنا الصحيح للنهج الذي جاء به عليه السلام وتبعه عليه ورثته من الأنبياء والرسل والصالحين في فلسطين ومن تبعه عليه من ذريته في مكة من أتباع محمد ﷺ.

## (٥) آثار الخليلين في المسجد الأقصى والبيت الحرام

تكاد تكون العلاقة بين نبينا محمد (وبين إبراهيم عليه السلام الأكثر تميزاً بين سائر الأنبياء عليهم السلام، فالله سبحانه وتعالى اصطفى من البشر رسلاً، واصطفى منهم أولي العزم، واصطفى من أولي العزم من الرسل الخليلين محمد وإبراهيم عليهما السلام.. كما قال ﷺ: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا»<sup>٢٠</sup>، وقد التقيا معاً ليلة الإسراء وجاءنا من إبراهيم عليه السلام سلاماً خاصاً يدل على مدى ارتباطنا به فقد جاء في الحديث عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: (لما كان ليلة أسري بي لقيت إبراهيم في السماء السابعة فقال يا محمد اقرأ على أمتك السلام، وأخبرهم أن الجنة عذب ماؤها طيب شرابها)<sup>٢١</sup>.

١٧ البقرة ١٢٢-١٢٣.

١٨ فلسطين بين المنهاج الرباني والواقع- د. عدنان النحوي.

١٩ آل عمران- الآيات ٦٧ و٦٨.

٢٠ صحيح مسلم ج: ١ ص: ٢٧٧.

٢١ مسند البزار ٤-٩ ج: ٥ ص: ٢٦١.

وفي الكثير من العبادات التي نؤديها نذكرهما معاً كما في الصلاة الإبراهيمية وكما في مناسك الحج وحتى في الدعاء كما في ذلك الدعاء المأثور: (أُصْبِحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى مِلَّةِ آبَائِنَا إِبْرَاهِيمَ، حَنِيفاً مُسْلِماً، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)<sup>٢٢</sup>.

ذلك الرباط العجيب أراد الله سبحانه وتعالى أن يترسخ وينعكس على الأرض لنتمسك بتلك البقاع الطاهرة التي ترعرعوا فيها وعاشوا عليها ودفنوا فيها.. ولعل مما يزيد ذلك الرباط متانة وقوة تلك الآثار التي بقيت منهما والتي تذكر المسلمين دائماً بهما وبانتما لنا لهما..

فكل من يقصد البيت الحرام حاجاً أو ومعتماً لا بد له من تذكر إبراهيم عليه السلام وهو يطوف حول البيت حيث يوجد مقام إبراهيم عليه السلام والذي نزلت فيه الآية: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾<sup>٢٣</sup> فهو أثر باق يذكر المسلمين بأن إبراهيم عليه السلام كان حنيفاً مسلماً كما وصفه الله تعالى بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>٢٤</sup> وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، شَاكِرًا لَأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ، ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>٢٥</sup>، وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾<sup>٢٦</sup>.

وهناك في المسجد الأقصى أثر باق لنبينا ﷺ وذلك عند الحائط الغربي للمسجد فيما يعرف بحائط البراق الذي قام النبي ﷺ بربط البراق عنده ليلة الإسراء والمعراج كما ذكر في الحديث الصحيح عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد... الحديث»<sup>٢٧</sup>.

٢٢ أخرجه النسائي وأحمد.

٢٣ الآية ١٢٥-البقرة.

٢٤ آل عمران الآية ٦٧.

٢٥ النحل الآيات من ١٢٠ إلى ١٢٣.

٢٦ النساء الآية ١٢٥.

٢٧ رواه مسلم.

وإذا كان المسجد الأقصى يُذكَرُ قاصديه بإسراء نبينا إليه ومعراجه منه إلى السماوات العلاء فإن حائط البراق يُرْسَخ ذلك الأمر خاصة وأن اليهود المحتلين قد نازعونا فيه فادَّعوا أنه حائطاً لهم وأسموه «حائط المبكى» وزعموا أنه أحد بقايا هيكلهم المزعوم وأضفوا عليه شيئاً من القداسة واخترعوا عنده طقوساً ما أنزل الله بها من سلطان وقبل كل ذلك فقد ارتكبوا عنده جريمة كبرى إبان احتلالهم لساحة المسجد الأقصى عام ١٩٦٧م اعترف بها قائد سلاح الهندسة في جيش الاحتلال الصهيوني وقتها المجرم إيتان بن موشيه الذي أقرَّ بأنه أصدر أوامر للجرافات بهدم حي الغاربية الملاصق لحائط البراق، وذلك عند مساء يوم السبت العاشر من حزيران (يونيو) ١٩٦٧م.. زمن وقوع المجزرة.

يقول بن موشيه : «قبل أن نزيل الحي مرت سرية بين البيوت معلنة للسكان العرب بضرورة مغادرة الحي خلال ربع ساعة.. وبعد أن فرغنا من هدم الحي وجدنا بين الأتقاض جثث قسم من الناس الذين ظلوا في بيوتهم»، ويقول بن موشيه أنه نقل ثلاث جثث إلى المستشفى أما الجثث الباقية فقد دفنوها مع أنقاض الحي..

ويضيف ذلك المجرم: «كان في باحة البراق على مسافة عدة أمتار منها مسجد فرس محمد (الذي كان يسمى أيضاً مسجد البراق) حيث كان حصان محمد الذي صعد منه إلى السماء.. أنا قلت إن كان الحصان قد صعد إلى السماء فلماذا لا يصعد المسجد أيضاً؟ وقمت بطحنه بشكل جيد جداً بحيث لم يبق منه أثر يذكر»!!

ذلك اليهودي المجرم تم تكريمه قبل عامين بتقليده وساماً رفيعاً في طقوس احتفالية لقبوه خلالها بـ«عزيز القدس» على عمله «الرائع» في إخلاء «ساحة المبكى» كما وصفت ذلك صحف العدو ومنها صحيفة «يروشاليم» التي وجهت إليه سؤالاً إن كان ضميره يؤنبه بسبب هدمه البيوت على أهلها فأجابها قائلاً: «لا، فأنا من عائلة متدينة وقد آمنت بسيادة «إسرائيل»، إن المكان ملك للناس، ولكنه لم يخف ندمه ومرارته بسبب فوات الفرصة.. فرصه هدم الأقصى وتحويله إلى كنيس يهودي»!!

لقد حرمت الأجيال من آثار مهمة لنبينا ﷺ ومنها الحلقة التي ربط بها البراق إذ أن الشيخ عبد الغني النابلسي الذي زار القدس في عام ١٠١١هـ/١٦٩٠م كتب واصفاً زيارته تلك : «ثم ذهبنا إلى محل البراق وهو على يمين الخارج من باب المسجد الذي عند جامع المغاربة ينزل إليه بدرج طويل قليل العرض.. وعلى الميسرة إلى مكان هناك يقال أنه رُبط به البراق ليلة الإسراء. وهو بيت مسكون، ففتح لنا الخادم ودخلنا فرأينا



مكاناً معتماً ومسجداً صغيراً (يبدو أنه المسجد الذي طالاه الدمار على يد المجرم بن موشيه)، ووجدنا هناك حلقة كبيرة في الحائط يقال ربط بها البراق».

## (٦) العرب.. سكان مكة وبيت المقدس الأوائل

جاء في الأحاديث الصحيحة عن بداية نشأة مكة المكرمة أن أم إسماعيل عليه السلام لما دفقت زمزم (شربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة، فإن هاهنا بيت الله يبني هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله، وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية، تأتيه السيول، فتأخذ عن يمينه وشماله. فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم، أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائراً عائفاً<sup>٢٨</sup>، فقالوا: إن هذا الطائر ليدور على ماء، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جرياً أو جريين<sup>٢٩</sup>، فإذا هم بالماء، فرجعوا، فأخبروهم بالماء، فأقبلوا، قال: وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ قالت: نعم. ولكن لاحق لكم في الماء<sup>٣٠</sup>، قالوا: نعم. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: فألفى ذلك أم إسماعيل، وهي تحب الإنس فنزلوا، وأرسلوا إلى أهلهم، فنزلوا معهم، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشبَّ الغلام، وتعلَّم العربية منهم، وأنفسهم<sup>٣١</sup>، وأعجبهم حين شبَّ، فلما أدرك زوجه امرأة منهم<sup>٣٢</sup>).

ويدل هذا الحديث على أن العرب هم أول من سكن مكة المكرمة وأقاموا فيها ويعد إسماعيل عليه السلام والد العرب المستعربة، وهم عرب الحجاز، أما قبائل حمير وهم أهل اليمن، فيعودون إلى قحطان، ويسمى العرب الذين هم قبل إسماعيل بالعرب العاربة، وهم قبائل كثيرة، منهم عاد وثمود وجرهم وطسم وجديس وقحطان، وأكثرهم بادوا وهلكوا. وقد صح في الحديث أن إسماعيل هو أول من فتق لسانه بالعربية المبينة، وهو ابن أربع عشرة سنة. وكما أن العرب هم أول من سكن مكة فكذا الحال مع شقيقتها بيت المقدس..

فخلال الألف الثالث قبل الميلاد هاجر إلى فلسطين العموريون (الأموريون) والكنعانيون، وكذلك اليبوسيون والفينيقيون (وهما يعتبران من البطون الكنعانية)،

٢٨ العائف: المتردد حول الماء الذي يحوم حوله.

٢٩ الجري: الرسول والوكيل.

٣٠ اشترطت عليهم أن يشربوا منه، ولكن أصل العين لها ولائها.

٣١ أنفسهم: أي صار عندهم نفسياً مرغوباً فيه.

٣٢ رواه البخاري في صحيحه.

وقد ذكر المؤرخون أن هجرتهم كانت إلى فلسطين حوالي ٢٥٠٠ ق.م، حيث استقر الكنعانيون في سهول فلسطين، وتركز العموريون في الجبال، واستقر اليبوسيون في القدس وما حولها، وهم الذين أنشأوا مدينة القدس وأسموها «يبوس» ثم «أورسالم»، أما الفينيقيون فاستقروا في الساحل الشمالي لفلسطين وفي لبنان. ويرى ثقات المؤرخين أن العموريين والكنعانيين واليبوسيين والفينيقيين قد خرجوا من جزيرة العرب وأن سواد أهل فلسطين الحاليين وخاصة القرويين هم أنسال تلك القبائل والشعوب القديمة أو من العرب الذين استقروا في البلاد إثر الفتح الإسلامي لها. إن الكنعانيين يعدون من العرب البائدة وقال عنهم المؤرخ بريستيد: إن الكنعانيين من القبائل العربية التي استوطنت أرض فلسطين منذ عام ٢٥٠٠ ق.م، أما المؤرخ العربي المسلم الطبري فإنه يرى أن كنعان هو أحد أبناء نوح والذي تسميه العرب «يام» أو أنه ابن حام بن نوح..

وقد دلت المكتشفات الأثرية بما لا يدع مجالاً للشك بأن الكنعانيين المهاجرين من شبه الجزيرة العربية إلى فلسطين هم أول الشعوب التي استوطنت أرض مدينة القدس وهم بناتها الأولون، كما أنهم الذين أنشأوا معظم مدن فلسطين، وكان عددها ما لا يقل عن مائتي مدينة خلال الألف الثاني قبل الميلاد قبل قدوم العبرانيين اليهود بمئات السنين، ومن المدن الكنعانية القديمة فضلاً عن أريحا والقدس مدن شكيم (بلاطة، نابلس) وبيسان وعسقلان وعكا وحيفا والخليل وأسدود وعافر وبئر السبع وبيت لحم..

وقد كانت كل مدينة كنعانية تتمتع آنذاك بقوة اقتصادية وسياسية مستقلة عن غيرها من المدن وكانت مادة البناء المستعملة من اللبن المجفف كما شهدت تطوراً في صناعة الفخار والأدوات البرونزية والحجرية وأدوات الزينة وشهدت تقدماً واضحاً في الزراعة مثل زراعة الحبوب والزيتون. كما أكدت المكتشفات الأثرية من ناحية أخرى أن اليبوسيين العرب هم آخر الأقوام التي دخلت مدينة القدس القديمة واستوطنوا وعاشوا فيها قبل الاحتلال اليهودي لها، وبها بقايا السور اليبوسي الشاهد على بنائهم لها. ويعد «ملكي صادق» من أقدم ملوك اليبوسيين الكنعانيين العرب وكان من الموحدين العابدين لله تعالى ونزل عليه إبراهيم عليه السلام وكان صديقاً له.

والخلاصة هنا أن مكة المكرمة عربية النشأة كما هي القدس ونحن أحق وأولى بهما من اليهود المدعين الذين حرّفوا وزوّروا وبدّلوا كتب الله تعالى وافتروا على أنبيائه

ورسله ولا يوجد ما يمنعهم من قلب الحقائق التاريخية رأساً على عقب وتلفيق تاريخ كاذب لهم على أرض فلسطين التي كانت وستبقى عربية.. إسلامية بإذنه تعالى.

## (٧) القبلة

القبلة هي محط اتجاه الوجوه والقلوب خلال تأدية الصلاة التي فيها يناجي العبد خالقه ومولاه وينقطع عن أمور دنياه، ولاشك أن هذا التوجه يخلق في النفس إحساساً غامراً بالتعلق النفسي والروحي والقلبي بهذه الوجهة، وهو أمر طبيعي ذكره علماء النفس حيث أشاروا إلى أن المتعلم إذا أراد أن يضمن استيعاباً أكبر فعليه أن يتجه بنظره نحو المحاضر أو المعلم كما أن المحب يزداد تعلقه وتأثره القلبي بالنظر إلى حبيبته والتوجه نحوه.. إن كل مسلم في الأرض يشعر من خلال توجهه نحو البيت الحرام في صلاته بحب غامر وتعلق كبير بالكعبة المشرفة، يظهر ذلك جلياً عندما لا يملك الحاج والمعتزم إخفاء شعوره بمجرد رؤيتها عياناً وهطول العبرات تأثراً بمشاهدتها.

إن القبلة ليست مجرد بناء يحدد وجهة المصلين في صلاتهم وحسب.. إنها كما ذكر الشهيد سيد قطب «قبلة واحدة تجمع هذه الأمة وتوحد بينها على اختلاف مواطنها، واختلاف مواقعها من هذه القبلة، واختلاف أجناسها وألسنتها وألوانها.. قبلة واحدة، تتجه إليها الأمة الواحدة في مشارق الأرض ومغاربها. فتحس أنها جسم واحد، وكيان واحد، تتجه إلى هدف واحد، وتسعى لتحقيق منهج واحد، منهج ينبثق من كونها جميعاً تعبد إلهاً واحداً، وتؤمن برسول واحد، وتتجه إلى قبلة واحدة. وهكذا وحَّد الله هذه الأمة. وحَّدها في إلهها ورسولها ودينها وقيمتها. وحَّدها على اختلاف المواطن والأجناس والألوان واللغات. ولم يجعل وحدتها تقوم على قاعدة من هذه القواعد كلها، ولكن تقوم على عقيدتها وقيمتها، ولو تفرقت في مواطنها وأجناسها وألوانها ولغاتها.. إنها الوحدة التي تليق ببني الإنسان، فالإنسان يجتمع على عقيدة القلب، وقبلة العبادة، إذا تجمع الحيوان على المراعي والكلاً والسياج والحظيرة»<sup>٣٣</sup>.

إن القبلة هي رمز الأمة وعنوان وحدتها وخضوعها لخالقها ولذلك فإن لها في قلب كل مسلم موقِعاً متميزاً لا يتزعزع.. ومن كل ما سبق يتضح لنا تلك الميزة الجليلة التي امتاز بها المسجد الأقصى بأن اختاره الله تعالى العليم الحكيم ليكون قبلة المسلمين

٣٣ في ظلال القرآن - ص ١٣٤ ج ١.

الأولى يولّوا وجوههم وقلوبهم نحوها لأكثر من ستة عشر شهراً كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ، كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده - أو أخواله- من الأنصار وأنه صَلَّى قِبَل بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت الحرام، وأنه صَلَّى أول صلاة صلاها، صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قِبَل مكة، فداروا كما هم قِبَل البيت. وكان اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قِبَل بيت المقدس، وأهل الكتاب، فلما ولى وجهه قِبَل البيت أنكروا ذلك<sup>٣٢</sup>. ومن طريق أخرى عن البراء بن عازب (كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله يحب أن يُوجّه إلى الكعبة، فأُنزل الله ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾<sup>٣٣</sup> فتوجه نحو الكعبة، وقال السفهاء من الناس- وهم يهود- ﴿مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>٣٤</sup>. فصلى مع النبي ﷺ رجل، ثم خرج بعد ما صَلَّى، فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال: هو يشهد أنه صَلَّى مع رسول الله، وأنه توجه نحو الكعبة، فتحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة)<sup>٣٥</sup>.

ومن ذلك يتبين لنا فوائد كثيرة منها: إرادة الله تعالى ومشيئته للمسجد الأقصى أن يكون قبلة للمسلمين ولو لفترة محدودة حتى يحظى بمكانة فريدة ومنزلة كبيرة لديهم وتتعلق قلوبهم وأفئدتهم به على مدى الزمان باعتباره القبلة الأولى، فقد كان من الممكن أن يكون التوجه مباشرة نحو الكعبة، إلا أن حكمة الله اقتضت ألا يحدث ذلك إلا بعد قرابة السنة ونصف وهي فترة طويلة كافية لترسيخ مكانة المسجد الأقصى في نفوس المسلمين على الرغم من كونه بعيداً عنهم ولا يخضع لحكمهم أو سيطرتهم في ذلك الوقت..

وإضافة لتلك فقد ذكرنا بعضاً من الفوائد الأخرى في نقطة سابقة في ما يتعلق بوجود الأوثان حول البيت الحرام وإرغام اليهود المشككين وفضح طوياتهم الخبيثة

٢٤ البخاري كتاب الإيمان (باب الصلاة).

٢٥ الآية ١٤٤- البقرة.

٢٦ الآية ١٤٢- البقرة.

٢٧ كتاب الصلاة ج٢٩٩.

الماكرة.. كما أن تحويل القبلة كان امتحاناً واختباراً للمسلمين ومدى انقيادهم وتسليمهم لأوامر الله تعالى.. وهو ما يرسخ كون المسجد الأقصى وبيت المقدس المحك الدائم للمسلمين على مدى الزمان..

إن ما ذكرناه عن القبلة في بداية هذه النقطة كما أنه ينطبق على الكعبة المشرفة (زادها الله تعظيماً وتشريفاً ومهابة وبراءً) فإنه كذلك ينطبق على المسجد الأقصى الذي عمل عملها كقبلة للمسلمين.. والمسلمون مطالبون اليوم أن يستشعروا ذلك الأمر ويعظموه ويتداعوا لنصرته والذب عنه.. ولعل من المهم جداً هنا القول بأن المسجد الأقصى وإن كان قبلة نسخ عملها في الصلاة.. فإنه بقى على مدى الزمان يعمل عمل القبلة ولكن في شأن آخر..!!

فإذا كانت الكعبة توحد المسلمين جميعاً في عبادتهم وصلاتهم وحجهم ومناسكهم.. فإن المسجد الأقصى عمل كقبلة جهادية وحدت المسلمين جميعاً على عبادة الجهاد في سبيل الله.. ذروة سنام الإسلام.. فكان تجمعهم في عهد النبي ﷺ في مؤتة وتبوك وتجهيزه ﷺ جيش أسامة في آخر لحظات حياته وإصراره على إنفاذه إلى الشام، وكان بعد ذلك تجمع المسلمين على جهاد الروم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، كما أن جموع المسلمين الذين عادوا عن ردّتهم لم يجدوا وسيلة ولا سبيلاً للتكفير عن خطيئتهم وذنوبهم إلا بالجهاد في سبيل الله ونيل الشهادة أو النصر على الأعداء فالتحقوا بالجيوش الفاتحة لأرض الشام لتعود للمسلمين وحدتهم ويلتئم صفهم ويلتقوا جميعاً في رحاب قبلتهم الجهادية.

وعندما ضعف المسلمون وتفرقوا أشتاتاً وتشرذموا واقتتلوا، طمع فيهم أعداؤهم الصليبيون فاغتصبوا أرضهم المقدسة ورفعوا صليبهم فوق قباب الأقصى قرناً كاملاً من الزمان، وعاد الأقصى قبلة جهادية من جديد وقام عماد الدين زنكي ومن بعده نور الدين زنكي بتوحيد الأمة وتجميع أشتاتها وتوحدت البلاد الإسلامية على عهد صلاح الدين الأيوبي حتى شملت العراق والشام ومصر واليمن والحجاز ليكون ذلك السبب الرئيسي في تحرير المسجد الأقصى من الصليبيين.. وتكرّر الأمر من جديد عندما غزا التتار العالم الإسلامي فكان هلاكهم وهزيمتهم على أرض فلسطين في موقعة عين جالوت التي دارت رحاها على بعد كيلومترات قليلة من القدس..

ومع تكرار الهجمة الصليبية اليهودية على العالم الإسلامي والتي أدت إلى تقطيع أوصاله في بداية القرن الماضي إتجهت الأنظار من جديد نحو المسجد الأقصى ليكون

القبلة الجهادية التي توحد المسلمين مرة أخرى ليتناسوا خلافاتهم ويطرفوا عن التقاطع والتدابير والتقاتل في ما بينهم ويرضوا صفوفهم للتوجه نحو بيت المقدس لتطهيره من دنس اليهود المحتلين وإعادته إلى حوزة المسلمين.. لقد رأينا بأبصارنا إرهابات هذه الوحدة مع تضرر «انتفاضة الأقصى» المباركة إذ أن العالم الإسلامي بأسره انتفض من طنجة حتى جاكارتا في تظاهرات عارمة مناصرة للمجاهدين المرابطين في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس وما زالت ردود الفعل في الشارع العربي والإسلامي تتصاعد مع ما يجري على أرض الإسراء والمعراج مؤذنة ببداية عهد جديد يتحد المسلمون فيه نحو قبلتهم الأولى التي كتب الله لها أن تبقى قبلة جهادية على مدى الزمان حتى يجتمع المسلمون خلف نبي الله عيسى عليه السلام ليخوضوا معه بزعامته معركة ضد الكفر بزعامة المسيح الدجال، ليكون مصرعه وفناء من معه عند باب لدّ غرب مدينة القدس من أرض فلسطين كما جاء في الحديث (يقتل ابن مريم الدجال بباب لدّ)<sup>٣٨</sup> والحديث (...حتى يأتي الشام، مدينة بفلسطين بباب لدّ - وقال أبو داود مرة: حتى يأتي فلسطين بباب لدّ - فينزل عيسى عليه السلام فيقتله)<sup>٣٩</sup>.

## (٨) المبدأ.. والمعاد

يلتقي البيت الحرام مع المسجد الأقصى بالكثير من الروابط المشتركة فكما أن البيت الحرام كان أول بيت وضع للناس والأقصى هو البيت الثاني، فإن مكة المكرمة التي تحوي البيت الحرام كانت المبدأ وبيت المقدس المنتهى.. ولتفسير ذلك نسوق ما أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مناقب الشام وأهله» بعد أن يسوق عدة آيات تتضمن ذكر الشام حيث يقول: (ذكر الله أرض الشام في هجرة إبراهيم إليها، ومسرى الرسول ﷺ إليها، ومملكة سليمان بها، ومسير سبأ إليها.. وصفها بأنها الأرض التي باركنا فيها، قال: وفيها المسجد الأقصى، ومبعث الأنبياء، وإليها هجرة إبراهيم وإليها مسرى نبينا، ومنها معراج، وبها ملكه، وعمود دينه والطائفة المنصورة من أمته وإليها المحشر والمعاد كما أن مكة المبدأ، فمكة أم القرى من تحتها دحيت

٣٨ أخرجه أحمد في المسند (٤٢٠، ٣) والترمذي برقم (٢٢٤٤) والحميدي برقم (٨٢٨) والطيالسي برقم (١٢٢٧) وعبد الرزاق برقم (٢٠٨٣٥) وابن حبان برقم (٦٨١١) والطبراني في الكبير (١٩/١٠٧٥-١٠٨١) والحديث صحيح لغيره.

٣٩ اللفظ لأحمد أخرجه أحمد في المسند (٦، ٧٥) ابن أبي شيبة في المنصف (١٣٤، ١٥) برقم (١٩٣٢٠) والبيهقي في البعث برقم (١٩٨) وابن حبان برقم (٦٧٨٣) وقال الهيثمي في المجمع (٧، ٣٣٨) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير الحضرمي بن لاحق وهو ثقة، والحديث صحيح الإسناد.

الأرض، والشام إليها يحشر الناس كما في قوله تعالى: (لأول الحشر) نبئَه على الحشر الثاني. فمكة مبدأ، وإيلياء (القدس) معاد في الخلق، وكذلك بدأ الأمر. فإنه أسري بالرسول من مكة إلى إيلياء، ومبعثه ومخرج دينه من مكة، وكمال دينه وظهوره وتمامه حتى يملكه المهدي بالشام. فمكة هي الأول والشام هي الآخر في الخلق والأمر في الكلمات الكونية والدينية)٤٠. وجاء أيضاً له في الفتاوى: (وقد دلّ الكتاب والسنة وما روي عن الأنبياء المتقدمين عليهم السلام مع ما علم بالحس والعقل وكشوفات العارفين، أن الخلق والأمر ابتدأ من مكة أم القرى، فهي أم الخلق، وفيها ابتدأت الرسالة المحمدية التي طبق نورها الأرض، وهي جعلها الله للناس قياماً، إليها يصلون ويحجون، ويقوم بها ما شاء الله من مصالح دينهم ودنياهم، فكان نور الإسلام في الزمان الأول ظهوره بالحجاز أعظم، ودلت الدلائل المذكورة على أن «ملك النبوة» بالشام، والحشر إليها، فالى بيت المقدس وما حوله يعود الخلق والأمر، وهناك يحشر الخلق، والإسلام في آخر الزمان يكون أظهر بالشام، وكما أن مكة أفضل من بيت المقدس، فأول الأمة خير من آخرها، كما أنه في آخر الزمان يعود الأمر إلى الشام كما أسري بالنبى ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى)٤١.

ذلك الرباط العجيب بين مكة المكرمة وبيت المقدس هو الذي أشار إليه ابن رجب الحنبلي في معرض حديثه عن ميلاد رسول الله ﷺ فبعد أن أورد حديث النبي ﷺ أن أمه قالت: «رأيت خرج مني نور أضاعت منه قصور الشام» علق على ذلك بقوله: (أما إضاءة قصور الشام بالنور الذي خرج معه فهو إشارة إلى ما خص الشام من نور نبوته بأنها دار ملكه كما ذكر كعب أن في الكتب السابقة: «محمد رسول الله مولده بمكة ومهاجره يثرب وملكه بالشام»، فمن مكة بدأت نبوة محمد رسول الله ﷺ وإلى الشام ينتهي ملكه، ولهذا أسري به ﷺ إلى الشام إلى بيت المقدس كما هاجر إبراهيم عليه الصلاة والسلام من قبله إلى الشام. قال بعض السلف: مابعت الله نبياً إلا من الشام فإن لم يبعثه منها هاجر إليها. وفي آخر الزمان يستقر العلم والإيمان بالشام فيكون نور النبوة فيها أظهر منه في سائر بلاد الإسلام. وقد خرّج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وأبي الدرداء وخرّج الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: (رأيت عمود الكتاب إنتزع من تحت وسادتي

٤٠ ص (٧٧-٧٨) بتخريج ناصر الدين الألباني رحمه الله (مجموع الفتاوى ج ٢٧ ص ٥٠٥).

٤١ مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢٧ ص ٤٣-٤٤.

فأتبعته بصري فإذا هو عمود ساطع عمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان إذا وقعت الفتنة بالشام<sup>٤٣</sup>).

وتصديق ذلك من كلام المصطفى ﷺ ما جاء في أن الخلافة ستنزل في بيت المقدس كما جاء في حديث النبي ﷺ عن ابن زغب الأيادي قال: نزل عليّ عبد الله بن حوالة الأزدي فقال: بعثنا رسول الله ﷺ لنغنم على أقدامنا، فرجعنا فلم نغنم شيئاً، وعرف الجهد في وجوهنا، فقام فينا فقال: ﴿اللهم لا تكلمهم إليّ فأضعف عنهم، ولا تكلمهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، ولا تكلمهم إلى الناس فيستأثروا عليهم﴾ ثم وضع يده على رأسه - أو قال على هامتي - ثم قال: (يا ابن حوالة، إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك)<sup>٤٤</sup>. كما جاء في الحديث عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال)، ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه أو منكبه ثم قال: (إن هذا الحق كما أنك ههنا أو كما أنك قاعد)<sup>٤٥</sup>.

وعمران بيت المقدس يكون بالخلافة النازلة فيه واستقرار المهدي كخليفة للمسلمين هناك..

وعن أبي أمامه الباهلي رضي الله عنه قال: خطبنا الرسول ﷺ وذكر الدجال.. وقال فيه: (إن المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص). قالت أم شريك: فأين العرب يا رسول الله يومئذ؟ قال: (هم يومئذ قليل، وجلهم ببيت المقدس، وإمامهم مهدي رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عيسى بن مريم عليه السلام..) الحديث<sup>٤٦</sup>

٤٢ ابن رجب الحنبلي - لطائف المعارف ص(٩٦-٩٧).  
٤٣ أخرجه أبو داود برقم (٢٥٢٥) وأحمد في المسند (٢٨٨/٥) والحاكم في المستدرک (٤/٢٥٥) وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٨٢٨).

٤٤ أخرجه أحمد في المسند (٢٤٥/٥) وأبو داود برقم (٤٢٩٤) والطبراني في الكبير (١٠٨/٢٠) برقم (٢١٤) ومسند الشاميين برقم (٢٥١٤) وهو حديث صحيح قال بن كثير هم هذا إسناد جيد وحديث حسن وعليه نور الصدق وجلال النبوة وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٠٩٦).

٤٥ أخرجه أبو داود برقم (٤٢٢٢) وابن ماجه برقم (٤٠٧٧) وابن خزيمة في التوحيد ص١٢١، والبيهقي في البعث برقم ١٦٠، وابن عساکر في تاريخ دمشق (٢٩٤، ٢٩٣/١) والأجري في الشريعة ص٣٧٥، والطبراني في الكبير (١٧٢/٨) برقم (٧٦٤٥/٧٦٤٤) والحاكم (٥٣٦/٤) والمسند في فضائل بيت المقدس برقم (٣٧) والحديث صحيح، صححه الحاكم أقره الذهبي.



والأحاديث كذلك تصرح بأن بيت المقدس هي أرض المحشر والمنشر كما ورد في حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (الشام أرض المحشر والمنشر)<sup>٤٦</sup>، وعن ميمونة بنت سعد مولاة النبي ﷺ قالت: يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس؟ قال أرض المحشر والمنشر<sup>٤٧</sup>.

هذا وقد ورد في تفسير آية ﴿فإذا هم بالساهرة﴾<sup>٤٨</sup>: الساهرة معروف أنه سهل كبير مستو في شمالي مدينة القدس (كما ذكر ذلك الرحالة ناصر خسرو الذي زار القدس عام ٤٣٨هـ) وكتب عن ذلك السهل إنه (يقال أنه سيكون ساحة القيامة والحشر، ولهذا يحضر إليه خلق كثيرون من أطراف العالم ويقيمون به حتى يموتوا فإذا جاء وعد الله كانوا بأرض الميعاد). وهناك باب الساهرة (من أبواب القدس) ومقبرة في الساهرة.

### (٩) الإسراء من البيت الحرام إلى بيت المقدس

لاشك أن حادثة الإسراء والمعراج هي المحور الأساسي الذي يركز عليه الكثير من الحقائق والدلائل التي نستند إليها في هذا الكتاب، ولأن حادثة الإسراء والمعراج كانت كرامة عظيمة لنبينا ﷺ فإن كل من شارك فيها أو اتصل بها ناله من تلك الكرامة والتكريم من الله تبارك وتعالى وعلى رأسهم محمد ﷺ الذي أسري به في تلك الليلة ويتبعه في تلك الكرامة أمته من بعده بوصفها أمة الإسراء، وقد نال من هذه الكرامة البيت الحرام الذي أسري منه النبي ﷺ والمسجد الأقصى الذي أسري إليه نبينا ﷺ.. ومع هؤلاء أيضاً جبريل عليه السلام المرافق لنبينا ﷺ في رحلته وكذلك البراق الذي نقل النبي ﷺ من مكة لبيت المقدس ذهاباً وإياباً في تلك الرحلة..

أما الحكيم البالغة التي احتوت عليها تلك الحادثة فلن يتسع المقام لذكرها هنا لكثرتها ونورد بعضاً منها، فقد قال السيوطي: «تكلم الناس في الحكمة من الإسراء بالنبي ﷺ إلى بيت المقدس، قبل المعراج ف قيل: ليجمع تلك الليلة بين القبلتين.. وقيل لأن بيت المقدس كان هجرة غالب الأنبياء قبله، فحصل له الرحيل إليه في الجملة، ليجمع بين أشتات الفضائل. وقيل لأنه محل الحشر، وغالب ما اتفق له في تلك الليلة يناسب الأحوال الأخروية، فكان المعراج من القدس أليق. وقيل لإرادة إظهار الحق على

٤٦ أخرجه الربيعي في فضائل الشام وقد جاء موقوفاً عن أبي ذر عند أحمد في المسند (٢٥٧/٦) وقد صححه الشيخ الألباني لوروده من طريقين ولشاهد من حديث ميمونة بنت سعد.

٤٧ أخرجه أحمد في المسند (٤٦٣/٦)، وابن ماجه (١٤٠٧) وأبو يعلى برقم (٧٠٨٨) والطحاوي في مشاكل الآثار (٢٤٩/٢٤٨/١) والطبراني في الكبير (٣٣/٢٢/٢٥) رقم (٥٦/٥٤).

٤٨ الآية ١٤ - النازعات.

من عاند، لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلاً إلى البيان والإيضاح، فلما ذكر عليه السلام أنه أسري إلى بيت المقدس، سأله عن جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها، وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك. فلما أخبرهم بها حصل بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس في ليلة، وإذا صحَّ خبره في ذلك، لزم تصديقه في بقية ما ذكره...»<sup>٤٩</sup>.

وقال محي الدين مستو: «في بدء رحلة الإسراء من المسجد الحرام بمكة المكرمة وانتهائها بالأرض المباركة في المسجد الأقصى، ما يدل على قداسة هذين المسجدين وما يحيط بهما من أرض شهدت مبعث النبوات والرسالات، ولهذا كان أحدهما القبلة الأولى التي لا تنسى للمسلمين، وكان الآخر القبلة الدائمة التي يتوجهون إليها كل يوم، ويُحج إليها كل عام. ونلاحظ من جهة أخرى أن هذه الرحلة اتخذت نفس المسار الذي كان يسلكه أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام في ترده بين مكة والأرض المباركة حين أسكن هاجر وابنها إسماعيل في مكة، وأسكن سارة وابنها إسحاق في فلسطين. وذلك كله يحتمل المسلمين في كل مكان عبء الدفاع عن هذه البلاد المقدسة، والإبقاء عليها في حوزتهم، تتردد بين جنباتها كلمة الله، وتخفق في ساحاتها راية التوحيد»<sup>٥٠</sup>.

إن حادثة الإسراء والمعراج هي أعظم معجزة في تاريخ البشرية على الإطلاق إذ لم يتسن لأي نبي مرسل أو ملك مقرب أن يصل إلى المكانة التي وصل إليها نبينا صلى الله عليه وسلم في تلك الرحلة بخرق الناموس له ولقائه بالملائكة والأنبياء ورؤيته من الآيات العظام ورؤيته للجنة والنار ووصوله إلى درجة وقف عندها جبريل وصعد هو درجة أخرى أقرب إلى عرش ربه وأدنى..

ومن هنا كان كل شيء متصل بتلك الرحلة كريم وذو شأن عظيم وهو ما نخص منه المسجدين المباركين الذين جمعتهما هذه الرحلة المباركة وربطت بينهما برباط وثيق لم تحظ به أي بقاع أخرى على وجه الأرض.. وهو ما سنعرض لبعض تفاصيله في النقاط القادمة.

٤٩ الآية الكبرى ص ١١٥.

٥٠ بيت المقدس والمسجد الأقصى ص ٣٢٢.

## (١٠) صلاة النبي ﷺ إماماً فيهما

إن من كرامة نبينا صلوات الله وسلامه عليه أن أي شيء يتصل به ويتعلق، من جماد أو إنسان، يرتفع قدره وبعلو شأنه فلصحابته منزلة لا يصل إليها أحد من أمته بقوله ﷺ: (خير القرون قرني..) ولأمهات المؤمنين منزلة عليّة رقيقة لا ينافسهن فيها أحد بقول الله تعالى ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ..﴾ الآية<sup>٥١</sup> وكذلك الأماكن التي مرّ بها لها مكانة خاصة متميزة عن غيرها من الأماكن، وتزداد تلك المكانة إن شهدت تلك الأماكن عبادة للنبي ﷺ فيها لأنه خير من صلى وصام وذكر الله وعبده، فمقام العبودية لله لا يضاهيه مقام آخر ولذلك اختاره الله في وصفه لنبيه في مواضع عديدة في القرآن الكريم فقال ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾<sup>٥٢</sup> وقال: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾<sup>٥٣</sup> وغيرها من الآيات.. وعليه فالموضع الذي صلى فيه النبي ﷺ ينال مرتبة أعلى من ذلك الذي مر به مروراً عابراً فكيف إذا صلى فيه إماماً؟ وكيف إذا كان إماماً لصفوة الخلق؟!

إن البيت الحرام شهد صلاة النبي إماماً بالمسلمين فنال شرفاً على شرف، وهو بذلك اشترك مع المسجد الأقصى بهذه الميزة وإن كان الأخير قد حاز على ميزة أكبر بصلاة النبي ﷺ إماماً بالنبیین والمرسلين، فحاز المسجد الأقصى بذلك على شرف الإمام وشرف المؤتمنين خلفه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.. وقد وردت أحاديث عديدة عن هذه الصلاة منها:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي إلى بيت المقدس) وفيه: (وحانت الصلاة فأممتهم..)<sup>٥٤</sup>.  
ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال: (ليلة أسري بنبي الله ﷺ ودخل الجنة...) إلى أن قال (.. فلما دخل النبي ﷺ المسجد الأقصى قام فصلى، فالتفت ثم التفت، فإذا النبيون أجمعون يصلون معه)<sup>٥٥</sup>.

ونقل السيوطي في (الآية الكبرى) حديثاً طويلاً جاء فيه (ثم انصرف فلم أثبت

٥١ الآية ٣٢- الأحراب.

٥٢ الآية ١- الإسراء.

٥٣ الآية ١٩- الجن.

٥٤ أخرجه مسلم برقم (١٧٢) والنسائي في الكبرى برقم (١١٤٨، ١١٢٨٤)..

٥٥ أخرجه أحمد في المسند (٢٥٧/١) وصححه أحمد شاكر تعليق على المسند رقم (٢٣٢٤) وابن كثير في التفسير

(١٤/٣) وقال إسناده صحيح ولم يخرجوه وصححه ابن حجر في الفتح (٢٠٩/٧).

إلا يسيراً حتى اجتمع ناس كثير، ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة، قال فقمنا صفوفاً ننتظر من يؤمنا، فأخذ بيدي جبريل، فقدمني فصليت بهم، فلما انصرفت قال جبريل: يا محمد أتدري من صلى خلفك؟ قال: قلت: لا، قال: صلى خلفك كل نبي بعثه الله).

أما ابن كثير فقد قال ضمن تفسيره لآية ﴿إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ «هو بيت المقدس الذي بإيلياء، معدن<sup>٥٦</sup> الأنبياء من إبراهيم الخليل عليه السلام، ولهذا جمعوا له هناك ﷺ كلهم. فأمرهم في محلّتهم ودارهم فدل على أنه ﷺ هو الإمام المعظم والرئيس المقدم»<sup>٥٧</sup>. وقد جاء في تفسير ابن كثير أيضاً: «والحق أنه عليه السلام أسري به يقظة لا مناماً، من مكة إلى بيت المقدس. راكباً البراق، فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله فصلى في قبلته تحية المسجد ركعتين ثم أتى بالمعراج وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها فصعد فيه إلى السماء الدنيا ثم إلى بقية السماوات السبع فتلقاه من كل سماء مقربوها وسلم على الأنبياء الذين في السماوات بحسب منازلهم ودرجاتهم.. ورأى الجنة والنار وفرض الله عليه هنالك الصلوات خمسين ثم خففها إلى خمس رحمة منه ولطفاً بعباده وفي هذا اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها ثم هبط إلى بيت المقدس وهبط معه الأنبياء فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة ويحتمل أنها الصبح من يومئذ ومن الناس من يزعم أنه أممهم في السماء والذي تظاهرت به الروايات أنه ببيت المقدس ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله إليه والظاهر أنه بعد رجوعه إليه لأنه لما مر بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحداً واحداً وهو يخبر بهم وهذا هو اللائق لأنه كان أولاً مطلوباً إلى الجناب العلوي ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله تعالى، ثم لما فرغ من الذي أريد به، اجتمع به هو وإخوانه من النبيين ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقدمه في الإمامة وذلك عن إشارة جبريل عليه السلام في ذلك ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى مكة بغلس والله سبحانه وتعالى أعلم»<sup>٥٨</sup>.

وقد علق صاحب كتاب «قبل أن يهدم الأقصى» على ذلك بالقول: «كانت صلواته ﷺ بالأنبياء في ليلة الإسراء إقراراً مبيناً بأن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى البشر، أخذت تماماً على يد محمد ﷺ بعد أن وطأ لها العباد الصالحون من رسل الله الأولين. وكان

٥٦ معدن الأنبياء : أي الأصل الذي نبتوا فيه.

٥٧ تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٢.

٥٨ تفسير ابن كثير ج ٣/٢٤.

في الإسراء دلالة على أن آخر صبغة للمسجد الأقصى - وهو المعبد العريق في القدم - هي الصبغة الإسلامية، فاستقر نسب المسجد الأقصى إلى الالتصاق بالأمة التي أم رسولها سائر الأنبياء. ولا شك أن في اقتتران الإسراء بالنبى ﷺ إلى السماوات العلا بالمسجد الأقصى دليلاً باهراً على مدى ما لهذا البيت من مكانة وقدسسية عند الله تعالى ودليل كذلك على صحة القول بأن المسجد الأقصى فوق مركز الدنيا وأنه المصعد من الأرض إلى السماء»<sup>٥٩</sup>.

وعن صلواته إماماً بالمسجد الأقصى ودلالاتها يورد د. صلاح الخالدي بعض الأمور المهمة التي تظهر مكانة الأقصى كونه منصة التكريم التي تم عليها تكريم نبينا ﷺ وتعريفه بقدره الرفيع.. فيقول:

«جمع الله الأنبياء والرسل السابقين لمحمد ﷺ في تلك الليلة، في المسجد الأقصى، ومنهم أنبياء ورسل بني إسرائيل، فأهمهم في الصلاة أي صلى بهم إماماً، وصلوا هم خلفه مأمومين!!

وجمعهم هذا جمع غيبي، لا نعرف كيف جرى، وهو غير خاضع للقوانين والأسباب المادية، لأن الرسل غادروا هذه الحياة الدنيا، والتحقوا بالرفيق الأعلى، فهم في حساب البشر أموات. ولكنهم عند الله أحياء، حياة خاصة غيبية، كما أراد الله سبحانه، ثم إن صلواتهم في المسجد الأقصى مأمومين خلف رسول الله ﷺ، يقدم لنا بعض الدلالات: منها: اعتراف هؤلاء الرسل بفضل ومنزلة رسول الله ﷺ ومكانته عند الله، وتسليم بأنه أفضل الخلق أجمعين، وإمام الأنبياء والمرسلين في السير إلى طريق الله وفي القرب من الله.

ومنها: اعتراف هؤلاء الأنبياء والمرسلين بختم النبوة والرسالة بنبوة ورسالة محمد ﷺ، فلا وحي بعده، ولا نبي يأتي بعده، ولا رسالة بعد رسالته، وهو اعتراف منهم أيضاً بنسخ رسالتهم برسالته، ونسخ كتبهم بكتابه، فلا عمل بالتوراة أو الزبور أو الإنجيل بعد إنزال الله للقرآن.

ومنها: دعوة هؤلاء الأنبياء والمرسلين -بخاصة أنبياء بني إسرائيل- لأقوامهم وأتباعهم بالدخول في الإسلام، والإيمان بالقرآن، وأتباع محمد ﷺ والتخلي عما كانوا عليه من اليهودية أو النصرانية، إن أرادوا القبول عند الله ودخول الجنة. فإن لم يستجيبوا له، ولم يدخلوا في دينه، فهم كفار ضالون، مخلدون في النار، وإن ادعوا أنهم

٥٩ قبل أن يهدم الأقصى ص (٧٥-٧٦).

على طريق إبراهيم أو موسى أو عيسى عليهم الصلاة والسلام.

ومنها: تسليم هؤلاء الأنبياء والمرسلين «مفاتيح» الأرض المقدسة إلى محمد ﷺ وأمته. فمعظم هؤلاء عاشوا على الأرض المقدسة، وكان هو المسؤول عنها، الراعي لها، الخليفة عليها، وأنوار رسالته ونبوته إنتشرت عليها، وبقيت حلقات النبوة والرسالة والخلافة على الأرض المقدسة، إلى أن ختمت هذه الحلقات بنبوة رسالة محمد ﷺ الدائمة إلى قيام الساعة. في ليلة الإسراء جاء الأنبياء وسلموا محمد ﷺ المسؤولية والخلافة والأمانة والعهد، وأكلوا له -ولأمته من بعده- مهمة الأرض المقدسة، ورعايتها وحمايتها، والخلافة عن الله فيها، واستمرار الإيمان عليها، حتى قيام الساعة.. وجعل الصلاة ميداناً ومجالاً لهذا الانتقال، جواً مناسباً للتسلم والتسليم، حيث محمد ﷺ هو الإمام والأنبياء خلفه مأمومون مسلمون له، يعطي دلالة واضحة على أهمية الصلاة والعبادة ووجوب تعمقه في أمة الإمامة والخلافة، التي تناط بها مسؤولية الإشراف على الأرض المقدسة.

إن الأقسام السابقين من اليهود والنصارى ليسوا مصلين لله صدقاً، ولا عابدين له حقاً، ولذلك إنتزع الله منهم هذه الخلافة والإمامة، وجعلها في أمة العبادة والصلاة، وتسلم رسولها محمد ﷺ هذه المهمة والمسؤولية من إخوانه الأنبياء في الصلاة.

ومنها: أن رسول الله ﷺ كان أول فاتح للأرض المقدسة ليلة الإسراء، وهذا منه عهد لأمته من بعده، بأن تفتح هذه الأرض المقدسة عملياً، بعد أن فتحها هو نظرياً، وتسلم مفاتيحها من إخوانه الأنبياء، وهذه بشرى لأمته منه، بأنها ستفتح هذه الأرض المقدسة، وتنتشر فيها الإسلام، وتحقق فيها الخلافة الربانية الراشدة، ولقد حققت هذه الأمة هذا الأمر بعد محمد ﷺ وفهمت منه هذا الإيحاء، وأخذت عنه هذه الإشارة»<sup>٦٠</sup>.

#### ولله در القائل:

إن كنت تسأل أين قدرُ	محمد بين الأنام
فأصْح إلى آياته	تظفر برئِك في الأوام <sup>٦١</sup>
أكرم بعبد سلّمت	تقديمه الرسل الكرام
في حضرة للقدسِ وافاها	بعبر واحترام
صفاً وصلوا خلفه	إن الجماعة بالإمام
للشهب نور بين	والفضل للقمر التمام
سلك النبوة باهر	وبأحمد حتم النظام <sup>٦٢</sup>

٦٠ من مقالة للدكتور صلاح الخالدي بعنوان الرسول يتسلم مفاتيح الأرض المقدسة -مجلة فلسطين المسلمة عدد سبتمبر ١٩٩٣م.

٦١ الأوام: العطش الشديد.

٦٢ المؤرخ الشيخ أحمد بن محمد المقرئ التلمساني- بيت المقدس والمسجد الأقصى ص١٩٥.

## (١١) جمعتهما آيه واحده

الصلة بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى لم تقف عند حادثة الإسراء وإنما خلدتها الله تعالى بتخليد هذه الحادثة في السورة التي توسطت القرآن الكريم وحملت اسم «الإسراء» لتبقي هذه الصلة ماثلة أمام كل من يدخل في دين الله ويقرأ كتاب الله الخالد، وليكون المسجد الأقصى جزءاً من كتاب الله من فرط فيه وخذله خسر وذل وخاب.

إنها السورة التي تصدرتها آية ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>٦٣</sup>.

فجمعت هذه الآية بين المسجدين معاً لا يفصل بينهما إلا حرف الجر (إلى) تخليداً لهذه الصلة المتميزة بينهما مع ما في ذلك من ثناء من الله عليهما..

ولعل من الملفت حقاً للاثتباه ذلك الحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله (كان لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل)<sup>٦٤</sup>. وبني إسرائيل هو اسم آخر لسورة الإسراء.

ومعنى ذلك أن سورة الإسراء لها شأن عظيم في نفس رسول الله ﷺ بما يشتمل ذلك على ذكره الدائم للمسجد الأقصى المبارك واهتمامه بأمره تبعاً لذلك.. فيا ليت المسلمين اليوم يقرأون سورة الإسراء بتدبر وتمعن ليتعرفوا على مكانة مسجدهم الأسير ويتلمسوا طريق النصر من خلال وعد الله فيها للمؤمنين بدخوله مهللين مكبرين كما دخلوه أول مرة.

وإذا كانت سورة الإسراء قد جمعت بين البيت الحرام والمسجد الأقصى فقد جمعتهما سورة أخرى أيضاً هي سورة التين بقوله تعالى ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ فقد قال ابن عباس في تفسيرها: التين بلاد الشام، والزيتون بلاد فلسطين وطور سينين الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام، والبلد الأمين مكة.

٦٣ الإسراء الآية ١.

٦٤ إسناده حسن: أخرجه الترمذي (٢٩٢٠)، (٣٤٠٥) قال: ثنا صالح بن عبد الله، حدثنا حماد ابن زيد عن أبي لبلبة - مروان مولى عبد الرحمن بن زياد، عن عائشة فذكره.

وقال عكرمة التين: مسجد دمشق، والزيتون بيت المقدس<sup>٦٥</sup>، قال قتادة: الجبل الذي عليه دمشق والجبل الذي عليه بيت المقدس لأنهما ينبتان التين والزيتون وقال الضحّاك هما مسجداً بالشام. قال ابن زيد، التين مسجد دمشق والزيتون: بيت المقدس، وقال محمد بن كعب: التين مسجد أصحاب الكهف، والزيتون مسجد إيلياء<sup>٦٦</sup>. وقال البيضاوي: قيل المراد بها جبلان من الأرض المقدسة، أو مسجد دمشق وبيت المقدس أو البلدان<sup>٦٧</sup>، وقوله أو البلدان بلاد الشام وبلاد فلسطين.

وفي الدر المنثور عن الزهري عن أنس: لما نزلت ﴿والتين والزيتون﴾ على رسول الله ﷺ فرح (بها) فرحاً شديداً حتى تبين فرحه، فسألنا ابن عباس عن تفسيرها، فقال: التين بلاد الشام، الزيتون بلاد فلسطين<sup>٦٨</sup>. وقيل أن التين إشارة إلى طور تينا بجوار دمشق والزيتون إشارة إلى طور زيتا في بيت المقدس وقيل هو إشارة إلى بيت المقدس نفسه<sup>٦٩</sup>.

وإضافة إلى اجتماع مكة وبيت المقدس معاً في هذه السورة، فإن مجيئهما بصيغة القسم يدل على مكانتهما الكبيرة عند الله تعالى ورفعتهما إذ أن الله تعالى لا يقسم إلا بعظيم في آياته..

وقد جمع الله بين المسجدين في آية واحدة أيضاً في قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتِ الَّذِينَ أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ فِيهَا وَيُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُهُ﴾<sup>٧٠</sup>، إذ قال عكرمة أنها المساجد الأربعة: الكعبة ومسجد قباء ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس. وقال ابن زيد «ومادام الحديث هنا عن القرآن واجتماع المسجدين فيه فيحسن بنا الإشارة إلى ما اجتمع للمسجدين معاً من تنزل للقرآن على رسول الله ﷺ فيهما وللوقوف على أهمية هذا الأمر نورد قول أبو القاسم النيسابوري في كتاب «التنبيه على فضل علوم القرآن» حيث قال: «من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته وترتيب ما نزل بمكة والمدينة وما نزل بمكة وحكمه مدني وما نزل بالمدينة وحكمه مكي وما نزل بمكة في أهل المدينة وما نزل بالمدينة في أهل مكة وما يشبه نزول المكي في المدني وما يشبه نزول المدني في المكي وما نزل بالجحفة وما نزل ببيت المقدس وما نزل بالطائف وما نزل بالحديبية وما نزل ليلاً وما نزل نهاراً..

٦٥ (تفسير ابن كثير ٤/٥٦٣) وتفسير البغوي (٤/٥٠٤).

٦٦ (تفسير البغوي) (٤/٥٠٤).

٦٧ (تفسير البيضاوي ص ٨٠٣)

٦٨ الدر المنثور (٨/٥٥٤) وعزاه للخطيب وابن عساكر بسند فيه مجهول وما بين حاصرتين مستدرك منه.

٦٩ (في ظلال القرآن سيد قطب ج ٦/٣٩٢٢).

٧٠ النور آية ٣٦.



إلخ»<sup>٧١</sup>. وقد استدلل صاحب «الإتقان» بحديث أخرجه الطبراني في الكبير من طريق الوليد بن مسلم عن عفير بن معدان عن أبي أمامة قال: «قال رسول الله ﷺ (أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة مكة والمدينة والشام) قال الوليد يعني بيت المقدس»<sup>٧٢</sup>. وقد جاء في «الإتقان» وفي «مناهل العرفان» أن آية ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلَنَا﴾<sup>٧٣</sup> نزلت ببيت المقدس ليلة الإسراء وكذا جاء في تفسير «روح المعاني» الذي أورد قول مقاتل بأنها نزلت في بيت المقدس.

## (١٢) البركة

يلتقي المسجد الأقصى مع البيت الحرام في وصف الله لهما بالبركة فكما جاء في ثناء الله على المسجد الحرام بقوله تعالى ﴿إِنْ أُولَ بَيْتٍ وَضَعْنَا لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِيكَةِ مَبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>٧٤</sup> فقد أثنى الله على المسجد الأقصى بوصفه بالبركة وذلك في قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ..الآية﴾<sup>٧٥</sup>.

والبركة في لغة العرب النمو والزيادة في الخير وأصل البرك صدر البعير، وسمي محبس الماء بركة. والبركة مشتقة من بارك الله في الشيء، وبارك له، والبركة في الشرع «ثبوت الخير الإلهي في الشيء كثبوت الماء في البركة والمبارك ما فيه ذلك الخير الإلهي».. وإضافة للآية السابق ذكرها فقد أشار الله تعالى لهذه البركة في عدة مواضع منها ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَوَلَّوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>٧٦</sup> أي أن الله نجى إبراهيم ووطأ عليهما السلام إلى الأرض المباركة وهي أرض الشام ومنها فلسطين - كما قال المفسرون- بعد أن كانا في العراق. وقوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾<sup>٧٧</sup> أي لسليمان عليه السلام تسخير الريح تهب بشدة وتجري بسرعة إلى الأرض التي باركنا فيها وهي أرض الشام<sup>٧٨</sup>. وقوله: ﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَفُونَ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا الَّتِي

٧١ فتح القدير ج: ٤ ص: ٣٤.

٧٢ الإتقان ج ١ ص ٣٥.

٧٣ الزخرف آية ٤٥.

٧٤ الآية ٩٦- آل عمران.

٧٥ الآية ١- الإسراء.

٧٦ آية ٧١ من سورة الأنبياء.

٧٧ آية ٨١- سورة الأنبياء.

٧٨ (ابن الجوزي: زاد المسير ٢٧٤/٥، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم).

بَارَكْنَا فِيهَا»<sup>٧٩</sup> وقوله: «وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ»<sup>٨٠</sup>.

ولا شك بأن التعبير القرآني الدقيق لوصف البركة جعلها تشمل المسجد الأقصى وما حوله وذلك تعميقاً وترسيخاً لكونه مباركاً حتى أنه ليفيض بالبركة على ما حوله، (فوصف المسجد الأقصى بأنه: الذي باركنا حوله «وصف يرسم البركة حافةً بالمسجد، فائضة عليه، وهو ظل لم يكن ليلقيه تعبير مباشر مثل: باركناه، أو باركنا فيه، وذلك من دقائق التعبير القرآني العجيب»<sup>٨١</sup>).

وفي ذلك توجيه قرآني لأمة المسلمين ألا يضربوا بالمسجد ولا بما حوله فكل ما حوله مبارك لا يجوز التفريط بذرة تراب منه فالمسجد الأقصى مبارك والقدس مباركة وحيفاً ويافاً وجنين واللد والرملة وغزة ونابلس وكل ما حوله من قرى ومدن فلسطين مبارك لا يجوز التنازل عن أي منها لليهود أو لغيرهم لأن المسلمين أولى الناس بهذه الأرض المباركة... ولعل من المناسب هنا الإشارة لمظاهر البركة حول المسجد الأقصى والتي فصلها د.صلاح الخالدي بقوله: «وصف الله الأرض حول الأقصى بالبركة «الذي باركنا حوله» ولم يصف المسجد نفسه بالبركة، فلم يقل الذي باركناه وباركنا حوله، لأن بركة المسجد باعتباره مكاناً للعبادة والصلاة والسجود أمر مفروغ منه، متفق عليه، مفهوم ضمناً، فلا يحتاج إلى نص عليه».

وكلمة «حوله» تشمل كل الأرض الواقعة حول المسجد الأقصى، وهي المعروفة باسم بلاد الشام، بأقطارها السياسية، التي قسمها وأوجدها الاستعمار الإنكليزي - الفرنسي في مطلع هذا القرن، في اتفاق سايكس - بيكو، وهي سوريا ولبنان والأردن وفلسطين. وقد يخطئ بعض الناس في فهم البركة حول المسجد الأقصى، فيقصرها على البركة الزراعية، أي البركة في الطقس والمناخ، في الرياح والأمطار، وفي الأرض الصالحة للزراعة التي تنتج مختلف الزروع والثمار، والتي تدر لبناً وعسلاً، وتقدم لأصحابها موارد زراعية وغذائية رفيعة.

صحيح أن هذه البركة موجودة حول المسجد الأقصى مباركة بهذا الاعتبار، لكنها بركة من بركات كثيرة، ومظهر من مظاهر البركة العديدة، البلاد التي حول المسجد

٧٩ الأعراف آية ١٣٧.

٨٠ سبأ الآية ١٨.

٨١ في ظلال القرآن (ج ٤، ص ٢٢١٢).

الأقصى مباركة بركة زراعية إنتاجية غذائية اقتصادية.

وهي مباركة بركة إيمانية، لأنها بلاد إيمان، للإيمان فيها وجود راسخ ثابت أصيل، قبل إبراهيم عليه السلام وبعده، وهي بلاد نبوات ورسالات، كرسالة موسى وعيسى، ونبوة داود وسليمان، عليهم الصلاة والسلام، وقد شهدت أرضها عبادة العابدين وصلوات المسبّحين، فكم من صلوات أقيمت عليها، وكم من دعوات خرجت منها، وكم من زفرات وأنات زفرت عليها، وكم من دموع وتضرعات كانت عليها، لقد مزج ترابها بدموع العابدين المتضرعين لله، قبل حكم المسلمين لها وبعده.

وهي مباركة بركة تاريخية، قديمة ومعاصرة ومستقبلية، فتاريخها الأصيل هو تاريخ للإسلام والإيمان والعبودية لله، أما الكفر والشرك والطغيان والجاهلية، فلا تاريخ ثابت لها عليها، ووجودها زائف موقوت زائل، هي تاريخ الإسلام والإيمان، الذي صاغه عليها: إبراهيم وإسحاق وموسى وهارون ويعقوب ويوسف وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وهي تاريخ الإسلام الذي صاغه عليها المسلمون الصالحون، من الصحابة والتابعين والعلماء والمجاهدين.

وهي مباركة بركة جهادية حضارية حركية، فعلها كان يسجل التاريخ الإيماني منعطفاته الخطيرة، وأحداثه العظيمة، وعليها كان يسجل التاريخ الجاهلي هزائمه ونكساته وزواله واندحاره.

التاريخ عليها حي فاعل متحرك لا يتوقف، وتقدم أعوامه وشهوره وأيامه مفاجآت عجيبة، وأحداثاً خطيرة، ومعارك فاصلة، وزوال دول وأنظمة، وولادة أخرى. عليها قُصم الرومان، قُصم الفرس، وقُصم الصليبيون، وقُصم التتار، وعليها سيقصم الله اليهود، ويُدمر كيانهم، وعليها سيقتل الله المسيح الدجال، وعليها سيبيد الله جحافل يأجوج ومأجوج.

وهي مباركة بركة سياسية، فهي أرض الابتلاء والامتحان، وهي أرض الكشف والفضح، هي التي تكشف الخونة، وتفضح العملاء، من الحكام والزعماء، والقادة والأنظمة، والأحزاب والتنظيمات، والرايات والشعارات والدعوات.

فبُوركت أيتها الأرض المباركة، كم كشفت من سوءات الحكام والسياسيين، وكم فضحت من الخونة والعملاء والمجرمين، وكم أسقطت من شعارات زائفة، وألغيت من دعوات ومبادرات ذليلة، وعرّيت من ممثلين مخفيين مرتبطين بالأعداء في الداخل والخارج.

إن هذه الأرض المباركة حول المسجد الأقصى «مقبرة سياسية»، لكل زعيم وحاكم ونظام وحزب وتنظيم ودعوة وشعار وراية وفكر، لا يصدر عن هذا الدين، ويرضى أن «يتاجر» في قضية هذه الأرض المباركة.

أتلاحظون كم «سُقِرْم» البركة في هذه الأرض، عندما نقصرها على البركة الزراعية والغذائية والإنتاجية، وكم «سنفرغها» بذلك من هذه المظاهر المهمة لهذه البركة!<sup>٨٢</sup>.

### (١٣) مهبط الملائكة

أورد المفسرون أن البيت المعمور الذي أقسم الله به في سورة الطور هو بيت عبادة الملائكة في السماء استدلالاً بما ورد في الصحيحين في حديث الإسراء «ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم».. يعني يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكعبتهم، وقد ورد أنه يقع فوق الكعبة وهو ما يوحي بتجمع الملائكة في ذلك المكان الطاهر والبقعة المباركة..

والمسجد الأقصى -وما حوله أيضاً- يشترك مع البيت الحرام في تنزل الملائكة كما أوضح ذلك حديث زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يا طوبى للشام، يا طوبى للشام، يا طوبى للشام) قالوا يا رسول الله وبم ذلك؟ قال: تلك ملائكة الله باسطة أجنحتها على الشام»<sup>٨٣</sup>.

وإضافة إلى تنزل الملائكة بشكل دائم ومستمر على تلك البقعة المباركة فقد شهد بيت المقدس وأكنافه نزول الوحي من السماء على كثير من الأنبياء كداود وسليمان وعيسى عليهم السلام كما شهدت مكة نزول الوحي على نبينا محمد ﷺ وهي ميزة جمعت بينهما وجعلتهما موضعاً للبركة الإلهية على مدى الزمان.

### (١٤) دعاء النبي ﷺ

عندما يدعو النبي ﷺ لمكان، أو بلد، أو شخص فإن ذلك فضلاً عن كونه تابع من «وحي يوحى» فيه دلالة واضحة على حب نبينا ﷺ لما يدعو ولأن يدعو له.. فقد أحبَّ المدينة المنورة ودعا لها في مواطن عديدة فقال: (اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو

٨٢ حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية ص ١٤٥، ١٤٧- د.صلاح الخالدي.  
٨٣ رواه الترمذي في صحيحه ٧٣٤/٥، وأحمد في المسند ١٨٤/٥، والطبراني والحاكم وصححه الحاكم وقال المنذري في الترغيب (٦٣/٤) رواه ابن حبان في صحيحه وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

أشد، اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة»<sup>٨٤</sup>، وقال أيضاً: (اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم بارك لنا في صاعنا، اللهم بارك لنا في مدنا، اللهم اجعل البركة بركتين)<sup>٨٥</sup>، وأحب مكة فقال لها مؤدعاً: (ما أطيبك من بلد وأحبك إلي ولولا أن قومك أخرجوني منك ما سكنت غيرك)<sup>٨٦</sup>، كل ذلك امتداداً لدعوة إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾<sup>٨٧</sup>، ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾<sup>٨٨</sup>.

وقد أورد ابن قيم الجوزية في كتابه القيم «زاد المعاد في هدي خير العباد» هدي النبي ﷺ عند دخوله البيت الحرام فقال: «ذكر الطبري أنه (ﷺ) دخل من باب بني عبد مناف الذي يسمى باب شيبية، وذكر أحمد أنه كان إذا دخل مكاناً من دار يعلى استقبل البيت ودعا، وذكر الطبري أنه كان عند رؤيته يرفع يديه ويكبر، ويقول: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، حيناً ربنا بالسلام، اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة، وزد من حجه أو اعتمره تكريماً وتشريفاً وتعظيماً وبراً»<sup>٨٩</sup>.

وبالإضافة للحديث الذي أوردناه في النقطة السابقة فقد دعا النبي ﷺ للشام (وصرتها بيت المقدس) بالبركة.. فعن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا) قالوا: وفي نجدنا، قال: (اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا) قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا، فأظنه قال في الثالثة: (هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان)<sup>٩٠</sup>.

وقد ورد برواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم بارك لنا في شامنا ويمنا -مرتين-) فقال رجل: وفي مشرقنا يا رسول الله. فقال ﷺ: (من هناك يطلع قرن الشيطان، وبها تسعة أعشار الشر) واللفظ لأحمد.

(قال العز بن عبد السلام رحمه الله: (لما بدأ بالدعاء للشام بالبركة، وثنى باليمن، دل على تفضيل الشام على اليمن، مع ما أثنى به على أهل اليمن في غير هذا الحديث، فإن البداية إنما تقع بالأهم فالهم).. دعاء النبي ﷺ بالبركة للشام دليل على الأفضلية والأهمية التي تتمتع بها بلاد الشام في نفس النبي ﷺ، خاصة وأنه أتى

٨٤ الصحيحين.

٨٥ صحيح مسلم.

٨٦ أخرجه الترمذي.

٨٧ ١٢٦ - الصحيحين.

٨٨ ٣٥ - إبراهيم.

٨٩ مختصر زاد المعاد ص ٥٦.

٩٠ أخرجه البخاري رقم (٧٠٩٤) والترمذي رقم (٣٩٥٣) وأحمد في المسند (١٢٦/٢، ١١٨) وغيرهم، وهو مرسل.

بالدعاء للشام واليمن بالبركة مضافين إلى نفسه الشريفة، وأتى بضمير الجمع تعظيماً وذلك في قوله «بارك لنا في شامنا ويمنا» وكرر الدعاء. إن هذه الإضافة إلى نفسه الكريمة تعطي للشام ميزة خاصة وشرفاً لا يضاويه شرف، خاصة حين نعلم أن النبي ﷺ لا يضيف لنفسه إلا ما يحب..).

## (١٥) مضاعفة الأعمال في بيت المقدس

خصَّ الله المساجد الثلاث (البيت الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى) بمضاعفة أجر الصلاة فيها ترغيباً للمسلمين في الصلاة بها وحثاً لهم على التمسك بها والمحافظة عليها والدفاع عنها بكل ما تملكه الأمة من غالٍ ونفيس، فجعل الصلاة في البيت الحرام بمائة ألف صلاة فيما سواه وهو ما يجعل كل مسلم تهفو نفسه وتتطلع لنيل ذلك الثواب العظيم والأجر الكبير الذي لا يمكن أن يبلغه في أي مكان آخر.. فقد قال رسول الله ﷺ: (الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسائة صلاة)<sup>٩١</sup>.

كما روى البيهقي عن جابر «أن النبي ﷺ قال: (صلاة في المسجد الحرام مائة ألف صلاة، وصلاة في مسجدي ألف صلاة، وفي بيت المقدس خمسمائة صلاة)<sup>٩٢</sup>. وعن ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت: يا نبي الله، أفتنا في بيت المقدس، فقال: أرض المحشر والمنشر، أنتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه، كألف صلاة فيما سواه. قالت: رأيت من لم يطق أن يتحمل إليه أو يأتيه؟ قال: فليهد إليه زيتاً يسرج فيه، فإن من أهدى له، كان كمن صلى فيه»<sup>٩٣</sup>. وعى أبي ذر رضي الله عنه قال: «تذاكرنا - ونحن عند رسول الله ﷺ - أيهما أفضل أم مسجد رسول الله ﷺ أم بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: (صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو، وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعاً»<sup>٩٤</sup>. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما «أن امرأة اشتكت شكوى، فقالت: إن شفاني الله لأخرجن فلأصلين في بيت المقدس، فبرئت ثم تجهزت تريد الخروج، فجاءت ميمونة زوج النبي ﷺ، فأخبرتها بذلك، فقالت: اجلسي، فكلي ما صنعت،

٩١ رواه البزار والطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه وقال البزار إسناده حسن (الفتح ٦٧/٣).

٩٢ (عن فقه السنة - سيد سابق) وحسنه السيوطي.

٩٣ (رواه أحمد ٤٦٣/٦ وابن ماجه ٤٢٩/١) ونقل الألباني في فضائل الشامز أن إسناده صحيح.

٩٤ أخرجه الحاكم في المسند (٥٠٩/٤) والمقدس في فضائل بيت المقدس (١٨) والطحاوي في مشكل الآثار (٢٤٨/١) والبيهقي (٨٣/٨ رقم ٣٨٤٩) وابن عساكر في تاريخ دمشق وقال الحاكم صحيح الإسناد ول يخرجوه ووافقه الذهبي ووصحه الألباني في تحذير الساجد ص ١٩٨.

وصلي في مسجد رسول الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيمن سواه، إلا مسجد الكعبة). ومدار الفتوى في حديث ميمونة على أن من نذر الصلاة في مفضول، أجزاء الصلاة في الأفضل ولا عكس. وقال ابن التين: إن أعمال المصلي إلى مسجد المدينة والمسجد الأقصى والصلاة فيهما قريبة، فوجب أن يلزم بالنذر كالمسجد الحرام وعلى هذا إن نذر الصلاة في الأقصى فصلى في مكة أو المدينة أجزاءه وإلا فيجب الوفاء بالنذر.

وتدل الأحاديث السابقة دلالة واضحة على فضل ثواب المصلي في المسجد الأقصى، وقد كان المسلمون يتسابقون إلى الصلاة فيه من جميع بقاع الأرض طمعاً في رضا الله ومثوبته دون أن يضع الواحد منهم نصب عينيه رقماً معيناً، لأن الله تعالى يضاعف الحسنة الواحدة أضعافاً مضاعفة، ولا يقف الأجر والثواب عند رقم معين، ولأن العدد لا مفهوم له كما هو مقرر في أصول الفقه، وإنما المقصود أن الأجر فيها عظيم والثواب فيها كبير -والله أعلم-.

## (١٦) مضاعفة السيئات

في مقابل مضاعفة الحسنات والأعمال في المساجد الثلاث تضافرت الأدلة على مضاعفة السيئات فيها زجراً وردعاً لكل من تسوّل له نفسه الانتقاص من قداستها وحرمتها وزيادة في تعظيم شأنها.. فجاءت آية ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>٩٥</sup>، توضح حرمة من يهيم بالإثم داخل الحرم المكي فكيف بمن ارتكبه؟

وقد ورد في الصحيح من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ (..ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء).. فإذا كان هذا الوعيد الشديد لمن أرادها بسوء فما بالك بمن فعل بها سوءاً؟ فالوعيد أشد، وهذا الوعيد يشمل الدنيا والآخرة معاً.

والأمر كذلك بالنسبة للمسجد الأقصى فقد تواتر عن السلف الصالح ما يدل على مضاعفة السيئات فيه كما تضاعف الحسنات.. فقد روى أبو بكر الواسطي عن نافع قال: «قال لي ابن عمر - ونحن في بيت المقدس - (يانافع أخرج بنا من هذا البيت فإن السيئات تضاعف فيه كما تضاعف الحسنات)»<sup>٩٦</sup>.

٩٥ آية ٢٥-الحج.

٩٦ إعلام الساجد ٢٩٠ للزرکشي وفضائل القدس ٩١.

وروي عن كعب الأحبار أنه كان يذهب من حمص إلى بيت المقدس للصلاة فيه فإذا صار منه قدر ميل اشتغل بالذكر والتلاوة والعبادة حتى يخرج عنه بقدر ميل أيضاً، ويقول: (السيئات تضاعف فيه). وروى ابن الجوزي عن إسماعيل بن عياش قال: سمعت جرير بن عثمان وصفوان بن عمرو يقولان: (الحسنة في بيت المقدس والسيئة بألف)<sup>٩٧</sup>. وقيل: إن السيئات لا تضاعف في الأماكن المعظمة لعموم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالْسَيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُضْلَمُونَ﴾ ولما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله حسنة كاملة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعلها كتبها الله سيئة واحدة»<sup>٩٨</sup>. وتحقيق القول في هذه المسألة أن المضاعفة تقع على العقوبة ومقدارها، لا على كمية السيئات وعددها، فالمقترف لعشر سيئات في بيت المقدس تسجل عليه عشر سيئات، ولكن العقوبة تغلظ، لشرف المكان وتعظيمه، فإن من عصى الملك على بساط ملكه ليس كمن عصاه في موضع بعيد ولله المثل الأعلى.

### (١٧) مغفرة الذنوب

إذا كان رسول الله ﷺ يحثنا على تحري أوقات إجابة الدعاء فإنه أيضاً يدلنا على الأماكن التي يرجى فيها ذلك وتتجلى فيها رحمة الله لعباده، وتهطل فيها بركاته، فيمنُّ على من قصدها بالرحمة والمغفرة وإجابة الدعاء وهو ما يطمع به كل مسلم ويرنو إليه كل موحد..

والأحاديث زاخرة بالترغيب في الطاعات في بيت الله الحرام وفي شقيقه المسجد الأقصى مع وعد لا يخلف بمغفرة الذنوب والخطايا.. فمن الأحاديث التي وردت في مغفرة الذنوب لقاصد بيت الله الحرام :

ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)<sup>٩٩</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه)<sup>١٠٠</sup>. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (تابعوا

٩٧ ابن الجوزي - فضائل القدس.

٩٨ الآية ١٦٠ - الأنعام.

٩٩ صحيح مسلم بشرح النووي - ١٥٠/٢.

١٠٠ أخرجه البخاري ومسلم.

١٠١ متفق عليه واللفظ للبخاري.



الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد)<sup>١٠٢</sup>. وفي رواية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه النبي ﷺ قال: (تابعوا بين الحج والعمرة، فإن المتابعة بينهما تنفي الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد)<sup>١٠٣</sup>. وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (الحاج والعمار وفد الله، إن دعوه أجابهم وإن استغفروه غفر لهم)<sup>١٠٤</sup>. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)<sup>١٠٥</sup>. وهناك من الأحاديث الكثير الكثير مما قد تتضمنها نقاط قادمة.

والمسجد الأقصى حاز على هذه الميزة أيضاً ليشترك فيها- إضافة للنقاط التي ذكرناها والتي نحن بصدد إيرادها- مع شقيقه المسجد الحرام وهو ما يظهر عظيم قدرهما ومكانتهما في نفس كل مسلم..

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن سليمان سأل الله ثلاثاً فأعطاه اثنتين، وأرجو أن يكون أعطاه الثالثة: سأله أن يحكم بحكم يواطئ حكمه فأعطاه، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه، وسأله أيما عبد أتى بيت المقدس لا يريد إلا الصلاة فيه، أن يكون من خطيئته كيوم ولدته أمه)<sup>١٠٦</sup>. قال ابن تيمية: (وكان ابن عمر رضي الله يأتي إليه فيصلي فيه، ولا يشرب فيه ماء لتصيبه دعوة سليمان، لقوله «لا يريد إلا الصلاة فيه» فإن هذا يقتضي إخلاص النية في السفر إليه ولا يأتيه لغرض دنيوي أو بدعة)<sup>١٠٧</sup>. وقال السدي وغيره: كان عمر سليمان سبعا وستين سنة وملك وهو ابن سبع عشرة سنة، وابتدأ في بنيان القدس وهو ابن عشرين سنة، وقرب بعد فراغه من بناء المسجد إثني عشر ألف ثور، ومائة وعشرين ألف شاة، واتخذ اليوم الذي فرغ فيه من بنائه عيداً، وقام على الصخرة رافعاً يديه إلى الله بالدعاء فقال: «اللهم أنت وهبت لي هذا السلطان وقويتني على بناء هذا المسجد، اللهم إنني أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال: لا يدخله مذنب دخل للتوبة إلا غفرت له وتبت عليه، ولا خائف إلا أمنت، ولا سقيم إلا شفيت، ولا فقير إلا

١٠٢ رواه النسائي.

١٠٣ رواه ابن ماجه.

١٠٤ رواه ابن ماجه.

١٠٥ رواه الترمذي وقال حديث غريب وقال البخاري إنما يروى هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما.

١٠٦ أخرجه النسائي (٢٣/٢) رقم (٦٩٣) وابن ماجه رقم (١٤٠٨) وأحمد في المسند (١٧٦/٢) وابن حبان (١٦٣٣) والحاكم (٣٠/١) (٣١-٣٠/٢) (٤٢٤/٢) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند برقم (٦٦٤٤).

١٠٧ مجموع الفتاوى (٦/٢٧).

أغنيته، والخامسة ألا تصرف نظرك عن دخله حتى يخرج منه، إلا من أراد إحدأاً أو ظلماً، يا رب العالمين»<sup>١٠٨</sup>.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (من أهل بعمره من بيت المقدس كانت كفارة لما قبلها من الذنوب)<sup>١٠٩</sup>.

والحديث الأخير يندرج ضمن عدة أحاديث أخرى تدل على ارتباط المسجد الأقصى بالمسجد الحرام خاصة في الشعيرة العظيمة التي يجتمع عليها المسلمون في بيت الله الحرام ألا وهي الحج وهو ما سنعرضه في النقطة التالية.

### ( ١٨ ) فضل الإحرام من المسجد الأقصى بالحج والعمرة

مع أن بوسع المسلم في أي مكان كان أن يحرم للحج أو العمرة من المواقيت التي تحيط بمكة المكرمة فقد خصَّ النبي ﷺ بيت المقدس بميزة جعلته يرتبط على مدى الزمان بالمسجد الحرام ألا وهي زيادة الأجر لمن أحرم من بيت المقدس بحج أو عمرة ومن شأن ذلك أن يشعر المسلمون برابطة خاصة بين البقعتين المباركتين، فيزداد ترددهم وتحريهم لزيارة المسجدين الشريفيين طمعاً في الحصول على ذلك الثواب العظيم الذي جاءتنا أخبار السلف الصالح بحرصهم على إحرازه ونيله.. وقد جاء عن ذلك الأحاديث والآثار التالية :

روى أبو داود بسنده إلى أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من أهل بحج أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أو وجبت له الجنة)<sup>١١٠</sup> شك عبد الله أيتها.

روى الإمام أحمد - بسنده - إلى أم سلمة أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: (من أحرم من بيت المقدس غفر له ما تقدم من ذنبه)<sup>١١١</sup>.

روى المقدسي في فضائل القدس - بسنده - عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما (أنه أحرم عام الحكمين من بيت المقدس)<sup>١١٢</sup>.

قال ابن حزم: (صحَّ عن ابن عمر أنه أحرم من بيت المقدس)<sup>١١٣</sup>.

١٠٨ ذكره الماوردي.

١٠٩ سنن ابن ماجه ٢/٩٩٩.

١١٠ سنن أبي داود ٢/١٤٤، والبيهقي: السنن الكبرى ٥/٣٠.

١١١ مسند الإمام أحمد ٦/٢٩٩.

١١٢ ضياء الدين المقدسي - فضائل بيت المقدس.

١١٣ ابن حزم: المحلى ٧/٧٢.

وقال ابن المنذر: (ثبت أن ابن عمر أهلاً من إيلياء - وهو بيت المقدس-) <sup>١١٤</sup>.  
وروى ابن حزم - بالسند - عن عبد الله بن أبي عمار أنه كان مع معاذ بن جبل وكعب  
الخير: (فأحرما من بيت المقدس بعمرة وأحرم معهما) <sup>١١٥</sup>.  
ذكر أبو داود عن وكيع: (يرحم الله وكيعاً، أحرم من بيت المقدس، يعني إلى مكة) <sup>١١٦</sup>.  
وروى الإمام أحمد في مسنده (أن أم حكيم ابنة أمية بن الأخنس ركبت إلى بيت  
المقدس حتى أهلت منه بعمرة) <sup>١١٧</sup>.

ليس هذا فحسب بل إن عيسى عليه السلام عندما ينزل في آخر الزمان ويقضي  
على الدجال وأتباعه من اليهود على أرض فلسطين وبقية الخلافة الإسلامية هناك  
يتجه حاجاً أو معتمراً من بيت المقدس إلى مكة والمدينة كما ورد في حديث أبي هريرة  
رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ليهبطن عيسى بن مريم حكماً عدلاً، وإماماً  
مقسطاً، وليسلكن فجاً حاجاً أو معتمراً، أو اثنتينهما، وليأتين قبري حتى يسلم عليّ،  
ولأردنّ عليه). قال أبو هريرة: (أي بني أخي إن رأيتموه فقولوا أبو هريرة يقرئك  
السلام) <sup>١١٨</sup>.

بل إن الترمذي أورد في سننه إلى عبد الله بن سلام (أنه مكتوب في التوراة صفة  
دفن عيسى عليه السلام مع النبي ﷺ) وأن بعض العلماء قالوا بأن المكان الخالي  
الموجود في الحجرة الشريفة التي تحتوي قبر النبي ﷺ وقبري صاحبيه أبي بكر  
الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، سوف يكون مدفن عيسى عليه السلام.  
وبالنسبة للرأي الفقهي في هذه المسألة فقد أجمع العلماء على جواز تقديم الإحرام  
للحج والعمرة عن الميقات المكاني وقد نقل الإجماع الكثير من العلماء منهم: ابن منذر  
والخطابي، فقال ابن منذر: (أجمع أهل العلم على أن من أحرم قبل أن يأتي الميقات  
فهو محرم) <sup>١١٩</sup>.

وقد أحسن الشيخ رائد صلاح رئيس الحركة الإسلامية في أراضي فلسطين المحتلة  
عام ١٩٤٨م عندما قام بخطوة رائدة بحق بالإحرام من المسجد الأقصى للعمرة (شهر  
آب/أغسطس ٢٠٠١م) وتوجه محرماً إلى الأردن ليكمل الطريق إلى مكة المكرمة غير أن

١١٤ النووي: المجموع شرح المذهب ٧/١٧٢، العراقي: طرح التثريب في شرح التقریب ٥.

١١٥ ابن حزم - المحلى ٧/٧٣.

١١٦ سنن أبي داود ٢/١٤٤.

١١٧ مسند الإمام أحمد ٦/٢٩٩.

١١٨ أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/٥٩٥) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

١١٩ العراقي: طرح التثريب ٥/٦، ابن قدامة: المغني ٣/٢٦٤.

السلطات الأردنية منعتهم من إتمام رحلته الميمونة لأداء العمرة. ولكنه نجح في لفت أنظار المسلمين إلى تلك السنة المهجورة ونجح في توجيه أنظارهم إلى قبلتهم الأولى ومدى الحرمان الذي يعانون منه بفقدهم لمسجدهم الغالي الذي يدنسها أخبث خلق الله..

## (١٩) شد الرحال

مع اتساع رقعة العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، وازدياد عدد المساجد فيها إلا أن ثلاثة مساجد فقط اختصت بالشرف الأوفر والمكانة الأعظم ولعلنا لا نبالغ إن قلنا أن حديث شد الرحال إلى تلك المساجد برواياته التي سنسوقها هو الحديث الأشهر والأكثر تداولاً بين الناس للتدليل على مكانة تلك المساجد وتميزها عن غيرها من المساجد المنتشرة في طول الأرض وعرضها.. وعلى الرغم من حرصي خلال هذا المبحث على جمع أكبر قدر ممكن من الروابط المشتركة بين المسجد الأقصى والبيت الحرام لإظهار مدى اقتراب الأول من الأخير الذي يعد المقياس المكاني للأماكن والبقاع المباركة، إلا أن ذلك لا يعني أن نقطة واحدة من النقاط التي أوردناها تكفي للتعرف على المكانة الرفيعة للمسجد الأقصى، ولذلك فلا بد من التأكيد على أن حديثاً واحداً مما سنورده خلال هذه النقطة يكفي الأمة للتحرك تحركاً جاداً نحو المسجد الأقصى المبارك وفك أغلاله وكسر قيوده وتحريره من الاحتلال الصهيوني البغيض وإعادته عزيزاً طاهراً شامخاً لأمته، ونحسب أن ما نذكره هنا ليس إلا من باب «وذکر فإن الذکری تنفع المؤمنین».. والملفت للنظر في الروايات التي سنوردها للحديث المتعلق بهذه النقطة أنها جاءت عن طريق ست عشرة طريقاً لهذا الحديث فقد رواه ستة من أصحاب رسول الله ﷺ ورواه عنهم إثنا عشر تابعياً ورواه عنهم أربعة عشر من تابعي التابعين أو من التابعين. أما طرقه بعد ذلك فإنها تتفرع إلى طرق أكثر، فهو حديث صحيح لاتفاق هذا العدد الوفير على روايته ولأن الرجال الذين ذكروا في أسانيده كلهم من الثقات فلا مجال أبداً للتشكيك في صحته أو الطعن فيه، وهو من الأحاديث التي يدور عليها الكثير من الأحكام والفوائد.. ومن رواياته :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي والمسجد الأقصى)<sup>١٣٠</sup>. وجاء في رواية: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا).

١٢٠ رواه البخاري.

ورواية (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا ومسجد الحرام ومسجد الأقصى). ورواية (تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد..) ورواية (إنما يُسافر إلى ثلاثة مساجد: الكعبة ومسجدي هذا ومسجد إيلياء).

والتأكيد على أن جميع هذه الروايات صحيحة وأن هذا الحديث لا يرقى إليه أي شك في صحته إنما هو بسبب محاولة الأعداء تسليط سهام الشك في موضوعه والطعن في صحته لمآرب خبيثة، فقد زعم البعض أن أصل الحديث شد الرحال إلى مسجدي مكة والمدينة فقط، ثم تمت زيادة المسجد الأقصى فيما بعد، وقولهم هذا مرفوض جملة وتفصيلاً ومنقوض بأدلة لا ترد، وقد أثبت علماء الحديث كذب ادعاءاتهم وزيف تقولاتهم، وقد فصل ذلك مؤلف كتاب «بيت المقدس والمسجد الأقصى»<sup>١٢١</sup> وذكر أن الذين زعموا أن حديث «لا تشد الرحال..» هو من الإسرائيليات إنما نقلوا ذلك عن قول صهيوني، لأن أول من طعن في هذا الحديث هو «غولدتسهير» وهو مستشرق يهودي، وهدف اليهود من الطعن في هذا الحديث أن لا تكون للمسجد الأقصى مكانة في نفوس المسلمين، وقد أعد اليهود للأمر عدته منذ بداية الحركة الصهيونية التي رافقت مرحلة نشاط الاستشراق.

## (٢٠) هجرة لا تنقطع

تعزيراً لما ذكرناه في النقطة السابقة عن شد الرحال للمسجد الأقصى ونقطة سبقتها حول كونه يعمل عمل قبلة جهادية للمسلمين، فإننا هنا بصدد تبين علاقة خاصة بينه وبين المسجد الحرام من جهة وبين القدس ومكة المكرمة من جهة أخرى.. فقد كانت هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة في فترة محددة، ثم انقطعت تلك الهجرة بفتح مكة، وقال الرسول ﷺ: (لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية)، ومع ذلك فقد أبقى رسول الله ﷺ الباب مفتوحاً للهجرة إلى بيت المقدس على الدوام بوصفها أرض رباط إلى قيام الساعة، فحث المسلمين على الهجرة إليها من خلال العديد من الأحاديث الشريفة التي تدعو المسلمين إلى ذلك كما في قوله ﷺ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: (سيكون هجرة بعد هجرة، فخير أهل الأرض أئمة مهاجر إبراهيم، ويبقى في الأرض شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، وتقذروهم نفس الله، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير)<sup>١٢٢</sup>.

١٢١ «بيت المقدس والمسجد الأقصى» - محمد محمد شراب، ص ٢١٧ إلى ٢٢٦.

١٢٢ أخرجه أبو داود برقم (٢٤٨٢) والحاكم (٥٤٠/٤) وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وقال الشيخ الألباني الحديث صحيح لشاهده من حديث ابن عمر رضي الله عنه (الذي سنورده بعده).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لتكونن هجرة بعد هجرة، إلى مهاجر أبيكم إبراهيم عليه السلام حتى لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها وتلفظهم أرضوهم وتقذرهم روح الرحمن عز وجل وتحشرهم النار مع القردة والخنازير، وتقبل حيث يقبلون وتبيت حيث تبيتون وما سقط منهم فلها)<sup>١٢٣</sup>. ومعلوم أن إبراهيم هاجر هو ولوط عليهما السلام إلى فلسطين من أرض الشام ليستقرا عليها ويقيما فيها، وقد استقر إبراهيم عليه السلام في منطقة بيت المقدس من الأرض المباركة بينما وجه الله نبيه لوطاً عليه السلام إلى الشرق من بيت المقدس ليكون نبياً عند القوم القاطنين شرق فلسطين والذين عرفوا فيما بعد بقوم لوط. فبلاد الشام ومنها فلسطين وبيت المقدس هي موطن هجرة إبراهيم الخليل عليه السلام وفيها توفي ودفن في مدينة الخليل من أرض فلسطين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فقد أخبر أن خيار أهل الأرض أئمتهم مهاجر إبراهيم، بخلاف من يأتي إليه ثم يذهب عنه، ومهاجر إبراهيم هي الشام) إلى أن قال (وقد جعل مهاجر إبراهيم تعدل مهاجر نبينا ﷺ، فإن الهجرة إلى مهاجره إنقطعت بفتح مكة)<sup>١٢٤</sup>. ليس هذا فحسب فإن النبي ﷺ يختار لأصحابه سكنى الشام والتوجه إليها كما جاء في الأحاديث التالية:

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت (يا رسول الله أين تأمرني؟ قال: ها هنا، ونَحَا بيده نحو الشام)<sup>١٢٥</sup>.

وعن عبد الله بن حوالة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: - (سيصير الأمر إلى أن تكونوا جُنُوداً مُجَنَّدَةً : جُنْد بالشام، وجند بالعراق، فقلت : خُر لي يا رسول الله إن أدركت ذلك، فقال: عليك بالشام، فإنها خَيْرُ الله في أرضه، يَجْتَبِي إليها خَيْرَتَهُ من عبادِهِ، فأما إن أبيتم فعليكم بيَمَنِكُمْ، واسقُوا من عُذْرِكُمْ، فإن الله توكل (لي) بالشام وأهله)<sup>١٢٦</sup>.

عن سلمة بن فضال الكندي - رضي الله عنه - قال: «كنتُ جالساً عند رسول الله ﷺ، فقال رجلٌ: يا رسولَ الله، أذال الناسُ الخيلَ، ووضعوا السلاحَ، قالوا : لا جهادَ، قد

١٢٣ أخرجه أحمد في المسند (٨٤/٢) وأخرجه ابن عساکر (١٥١/١-١٥٢) ورجاله ثقات كما قال الشيخ الألباني رحمه الله في تعليقه على فضائل الشام للربيعي.

١٢٤ مناقب الشام وأهله لابن تيمية ص ٨٠.

١٢٥ أخرجه أحمد والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح.

١٢٦ أخرجه أبو داود وأحمد في المسند والحاكم وابن المبارك والطحاوي والطبراني في الكبير وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وهو كما قالوا.

وضعت الحرب أوزارها، فأقبل رسولُ الله ﷺ بوجهه، وقال: «كذبوا، الآن جاء القتالُ، ولا تزالُ من أمتي أمةً يقاتلون على الحق، ويُزيغُ الله لهم قلوب أقوام ويرزقهم منه، حتى تقوم الساعةُ، وحتى يأتي وعدُ الله، الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة، وهو يُوحى إليّ: أني مقبوضٌ غيرُ مُلبثٍ، وأنتم تتبعوني، ألا، فلا يضرب بعضكم رقابَ بعضٍ، وعقرُ دارِ المؤمنين الشامُ»<sup>١٢٧</sup>.

إن الذي يمعن في النصوص السابقة يدرك تمام الإدراك ويعي تمام الوعي حقيقة مهمة وهي أن أرض الشام الأرض المباركة المقدسة هي أرض إسلامية إيمانية رغم ما يغشاها أحياناً من التجاوزات والمعاصي، وتحكم بالظلم، وعدوان الكفر، وسيطرة الجاهلية، وهذه الأرض هي أرض رباط دائم منذ الفتح الإسلامي الأول على يد الصحابة وحتى قيام الساعة. وهذه الأرض -فلسطين وما حولها- هي أرض جهاد حي مستمر على اختلاف الأزمان والقرون، وهي أرض حية ساخنة لأنها أرض التحدي القوي الحاد بين المسلمين وأعدائهم، وهي ميدان الصراع والعراك والحرب معهم، كما أنها أرض الحسم، حسم المعركة بين الحق والباطل، وبين المسلمين وأعدائهم، فعلى ثراها الطهور تتحطم مكائد وجيوش الكفر والبغي، ومن ثراها الطهور ترتفع أعلام النصر والتحرير. ولهذا جعلها الله أرض الرباط والجهاد والتحدي والحسم، ولهذا فضلها الله على سائر البقاع والبلدان<sup>١٢٨</sup>.

وتبرز هنا قضية مهمة من حديث سلمة بن فضيل رضي الله عنه أن النبي ﷺ ثار وغضب حين قيل له أنه انتهى الجهاد إلى غير رجعة، فأخبر أن الجهاد ماض وأن الرباط مستمر، وأن طائفة الحق المنصورة التي تقاتل في سبيل الله لإعلاء كلمته ستبقى موجودة إلى قيام الساعة، وأن الله تعالى سينصرهم على أعدائهم وسيرزقهم من أيدي أعدائهم الخير الكثير. وربط النبي ﷺ ذلك كله بسلامة قلب دار المؤمنين، وهي أرض الشام. فالنبي ﷺ إعتبر بلاد الشام وأرض الشام هي عقر دار المؤمنين وقد فسّر الإمام السيوطي هذا بقوله: «وعقر دار المؤمنين الشام، أي أصلها وموضعها، كأنه أشار به إلى أنه عند وقت الفتن يكون الشام يومئذ آمناً منها، وأهل الإسلام به أسلم». فإذا كان أصل الإيمان وموضعه بالشام، فإن ذلك يعطي أهمية بالغة لهذه البلاد، وكيف لا يكون لها هذه الأهمية وهي تتمتع بهذه المنزلة، فأصل الإيمان فيها، وموضع

١٢٧ أخرجه النسائي وأحمد وابن سعد والطبراني في الكبير والحديث إسناده صحيح.

١٢٨ من مقال للدكتور صلاح الخالدي -مجلة فلسطين المسلمة أغسطس ١٩٩٣.

الإيمان فيها، ومعسكر الإيمان فيها، ومنزل الأمن والأمان فيها، وهي موضع رعاية الله وعنايته، فهنيئاً لك يا شام بما أعطاك الله تعالى من هذا الخير العظيم العميم. وبعد هذا كله فإنها ستبقى أرض الجهاد والرباط إلى يوم القيامة كما جاء على لسان الحبيب ﷺ. وزيادة في هذا الخير العظيم الذي منحه الله للشام فقد زادها خصلة أخرى من الخير، فجعل المقام بها أو الهجرة إليها للسكن والإقامة وتقوية المؤمنين فيها تعدل أجر المهاجرين إلى المدينة المنورة زمن النبي ﷺ، وجعل أهلها والمقيمين فيها من أهل الصلاح والخير، والذين يأتونها ويقيمون فيها من أهل الصلاح للمرابطة في هذه الأرض هم خير أهل الأرض بنص الحديث حين قال النبي ﷺ (فخيار أهل الأرض أئمتهم مهاجر إبراهيم)<sup>١٢٩</sup>.

### (٢١) العصمة من الدجال

لعل من الحكم التي يمكن تقصّيها حول السر في اختيار نبينا ﷺ بيت المقدس والتي هي مهاجر أبينا إبراهيم عليه السلام وكذلك تخصيصه المساجد الثلاث (في مكة والمدينة وبيت المقدس) بشد الرحال إليها.. أنها تشترك جميعاً في كونها آمنة من فتنة الدجال في آخر الزمان عندما تموج الفتن موج الجبال، فقد أرشدنا رسول الله ﷺ إلى عدة وسائل للتحصن من فتنة الدجال كقراءة فواتح سورة الكهف كما في الحديث (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال) وفي رواية (من آخر سورة الكهف)<sup>١٣٠</sup>، وحديث (..فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف..)<sup>١٣١</sup>. كما أرشدنا إلى التهوّد منه في الصلاة كما جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو في الصلاة: (اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات..)<sup>١٣٢</sup>. وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال)<sup>١٣٣</sup>. ومما أرشدنا إليه أيضاً الابتعاد عن طريق الدجال لحديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (من سمع بالدجال فليناً

١٢٩ الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل - إبراهيم العلي.

١٣٠ أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

١٣١ أخرجه مسلم والترمذي وأبو داود وابن ماجه والحاكم وأحمد.

١٣٢ أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

١٣٣ أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه.



عنه، فوالله إن الرجل لياتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو لما يبعث به من الشهوات)<sup>١٣٤</sup>، وهي دعوة من الرسول ﷺ للمؤمنين أن يتعدوا عن الدجال ويحتموا بالأماكن المحمية المعصومة من فتنته وهي مكة والمدينة وبيت المقدس، فإن من بركة هذه الأماكن أنها تكون -كما أسلفنا- في آخر الزمان خاصة ملاذاً آمناً للمؤمنين من الفتن الكبرى فطوبى لمن بادر بسكنائها والإقامة فيها والتنعيم ببركاتها.. فقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: (أندرتكم الدجال - ثلاثاً- فإنه لم يكن نبيُّ قبلي إلا وأندر أمته، وإنه فيكم أيتها الأمة، وإنه جعدٌ آدم ممسوح العين اليسرى، معه جنة ونار، فناره جنة وجنته نار، ومعه جبل من خبز ونهر من ماء، وإنه يمطر المطر ولا ينبت الشجر، وإنه يسلط على نفس فيقتلها، ولا يسلط على غيرها، وإنه يمكث في الأرض أربعين صباحاً يبلغ فيها كل منهل ولا يقرب أربعة مساجد: مسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد الطور ومسجد الأقصى، وما يشبهه عليكم فإن ربكم ليس بأعور)<sup>١٣٥</sup>، وأخرجه نعيم بن حماد بلفظ: (إن الدجال يبلغ كل منهل إلا أربعة مساجد: مسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد طور سيناء ومسجد الأقصى)، ومن حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه -في ذكر الدجال- أن النبي ﷺ قال: (.. وإنه سيظهر على الأرض كلها غير الحرمين وبيت المقدس، وإنه يسوق المسلمين إلى بيت المقدس فيحصرون حصراً شديداً ويوزلون أزلاً شديداً..)<sup>١٣٦</sup>. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرج الدجال فيمكث في الأرض أربعين صباحاً، يرد كل منهل إلا الكعبة والمدينة وبيت المقدس)<sup>١٣٧</sup>.

إن الدجال -وهو من أخبث خلق الله- يجتد معه من هم على شاكلته من الخبث وهم اليهود -أخبث خلق الله- ليعيثوا في الأرض فساداً وإفساداً، ولا عجب في ذلك فقد صرحت الأحاديث بيهوديته كما جاء في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في شأن الدجال: (إنه يهودي، وإنه لا يولد له ولد، وإنه لا يدخل المدينة ولا مكة)<sup>١٣٨</sup>، وروي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله

١٣٤ أخرجه أبو داود وأحمد في المسند والحاكم في المستدرک وصححه الحاكم وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٣٠١).

١٣٥ أخرجه أحمد في المسند وابن أبي شيبة والبيهقي وقال الهيثمي في المجمع أخرجه أحمد ورجاله رجال الصحيح وقال الحافظ في الفتح (١٠٥٩/١٣) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

١٣٦ أخرجه البخاري والترمذي والنسائي وأحمد وابن ماجه والبيهقي والحاكم وغيرهم.

١٣٧ أخرجه الطبراني.

١٣٨ رواه مسلم (١٨) (٥٠).

ﷺ: (يخرج الدجال من يهودية أصبهان)<sup>١٣٩</sup>، ويهودية أصبهان بلدة من خراسان كانت مأهولة باليهود، قال ياقوت الحموي: لما سار بختنصر وأخذ البيت المقدس وسبى أهلها، حمل معه يهودها وأنزلهم أصبهان، فبنوا لهم في طرف مدينة «جي» محلة، ونزلوها وسميت «اليهودية»<sup>١٤٠</sup>، وقد جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً، عليهم الطيالسة)<sup>١٤١</sup> ولأن اليهود هم ذلك العنصر الخبيث المتهم بقتل الأنبياء وتكذيبهم وتحريف كتبهم ونشر الفساد وانتهاك الحرمات عبر الأزمان، فإن عقابهم الأليم سيكون بإذن الله تعالى -في الدنيا قبل الآخرة- أن يقتص منهم عيسى عليه السلام الذي حاولوا قتله وصلبه على أرض فلسطين فنجاه الله منهم ورفعهم من سماء بيت المقدس إلى حين، عندما ينزل فيقتل زعيمهم الدجال على نفس الأرض المقدسة التي ستنتقم منهم أيضاً على ما ارتكبه من جرائم ومجازر وفظائع -تشهد هذه الأيام شيئاً منها- إن هذه الأرض المباركة من شدة بغضها وكرهيتها لليهود يأذن الله لها أن يتكلم حجرها وشجرها للمشاركة في شرف إبادة أولئك الأخابث وقتلهم كما جاء في الحديث المروي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: (خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته ما يحدثنا عن الدجال.. إلى أن قال: (فيقول عيسى ﷺ: إن لي فيك ضربة لن تفوتني بها، فيدركه عند باب لد الشريقي فيقتله، فلا يبقى شيء مما خلق الله عز وجل شيئاً يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا شجرة ولا حجرة ولا دابة إلا قال: (يا عبد الله المسلم، هنا يهودي فاقتله، إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق..))<sup>١٤٢</sup>، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (..ثم يسلط الله المسلمين عليه، فيقتلونه ويقتلون شيعته، حتى إن اليهودي ليختبئ تحت الشجرة أو الحجر، فيقول الحجر أو الشجر للمسلم: هذا يهودي تحتي فاقتله)<sup>١٤٣</sup>.

إنها البشارة التي تجعلنا أشد تمسكاً في حقنا المقدس في الأرض المباركة التي يدنسها اليهود -أتباع المسيح الدجال- وهي تلعنهم صباح مساء وتنتظر بفارغ الصبر يوم الخلاص منهم، وعسى أن يكون قريباً.

١٣٩ أخرجه الترمذي (٤٤١/٤). وابن ماجه وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٩١).

١٤٠ معجم البلدان ٨/١.

١٤١ أخرجه مسلم وابن حبان.

١٤٢ أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن خزيمة والبيهقي وابن عساكر والطبراني في الكبير والحاكم والمقدسي في فضائل بيت المقدس وصححه الحاكم وأقره الذهبي.

١٤٣ أخرجه أحمد في المسند وصححه أحمد رحمه الله في تعليقه على المسند برقم (٥٢٥٢) وله شواهد من حديثي سمرة بن جندب وأبي أمامة.

## (٢٢) قرّة عين النبي ﷺ

أشرت في نقطة سابقة إلى تعلق النبي ﷺ بالبيت الحرام ومكة المكرمة حتى أنه قال: (والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت)<sup>١٤٤</sup>، وكان من حبه للكعبة وتعلقه بها أنه كان يرغب أن تكون هي قبلته في الصلاة، فكان يدعو وينظر إلى السماء.. حتى نزلت آية ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾<sup>١٤٥</sup>. فقرّت عينه ﷺ ورضيت نفسه الشريفة التي كانت تتوق لذلك، إذ أنه كان يصلي بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه (كما أخرج الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما).

وكما كانت قرّة عينه ﷺ في الكعبة والبيت الحرام ومكة المكرمة، فقد كانت قرّة عينه أيضاً في المسجد الأقصى وبيت المقدس.. فإنه لما اشتد أذى كفار قريش عليه وعلى أصحابه وتوفي عمه أبو طالب وزوجته خديجة رضي الله عنهما وتوقف دخول الناس في هذا الدين من شدة الصّد عن سبيل الله.. ولم تفلح الجهود في نقل الدعوة إلى خارج مكة -لمدينة الطائف تحديداً- وتعرض النبي ﷺ للأذى النفسي والبدني على يد سفهاء الطائف.. لجأ رسول الله ﷺ إلى مناجاة ربه شاكياً باكياً ظاناً أن تعثر الدعوة كان مبعثه أمر خاص به فدعا بذلك الدعاء الرقيق: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى عدو بعيد يتجهمني، أم إلى صديق قريب ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، إلا أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك)<sup>١٤٦</sup>.

وحتى يطمئن قلب نبينا ﷺ ويوقن بأن مكانته أعظم وأجل وأرفع من مكانة أي مخلوق في الكون بأسره وأن هذه الشدة والبلاء وتعثر الدعوة ليس مرده شخص النبي ﷺ أو غضب الله عليه، وحتى يرى بعينه هذه المكانة كانت رحلة الإسراء والمعراج مباشرة بعد عودته من الطائف في ذلك الوقت العصيب، وكان من أهدافها ﴿لنريه من

١٤٤ رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه.

١٤٥ البقرة الآية ١٤٤.

١٤٦ تفسير ابن كثير ج٤/١٦٤، السيرة النبوية ج٢/٢٦٨.

آياتنا إنه هو السميع البصير ﴿ وهذه الرؤية التي رآها النبي ﷺ في تلك الرحلة العجيبة جعلته قير العين مطمئن النفس..

لقد قرّت عينه برؤية جبريل الأمين عليه السلام ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾<sup>١٧</sup>، وقرّت عينه برؤية الأنبياء إذ جمعوا له في المسجد الأقصى ليكون إماماً لهم.. وقرّت عينه برؤية الآيات العظام ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى، أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى، وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى، إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى، لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾<sup>١٨</sup>.

وكما كان الأقصى قرة عين للنبي ﷺ خلال رحلة الإسراء والمعراج، فقد كان كذلك أيضاً بعد انتهائه منها وعودته إلى مكة وحكايته لقومه ما عاينه فيها من آيات ومحاولاتهم إحراجه، وتتضح قرة عينه في الأقصى من خلال ذلك التعبير الدقيق الذي ساقه النبي ﷺ في حديثه عن ذلك بقوله: (لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي إلى بيت المقدس، يسألوني عن أشياء من بيت المقدس، فكربت كرباً ما كربت مثله قط) والعبارة الأخيرة تبين مدى ما حلّ بنبينا ﷺ من ضيق وشدة حتى أنه قال (ما كربت مثله قط) أي أن كل ما عاناه فيما سبق من قتل وتعذيب لأصحابه وتكذيب له ولدعوته لم يعدل ما ألمّ به في ذلك الموقف فكان الضج من ذلك الكرب والمخرج من ذلك الضيق رؤية بيت المقدس كما ورد في تكملة الحديث (فكربت كرباً ما كربت مثله قط، فرفعه الله لي أنظر إليه، فما سألتوني عن شيء إلا أنبأتهم به)<sup>١٩</sup>. وقد ورد ذلك برواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (لما كانت ليلة أسري بي وأصبحت بمكة فظعت بأمرى وعرفت أن الناس مكذّبي، فقعدت معتزلاً حزيناً فمرّ به أبو جهل فجاء حتى جلس إليه فقال له كالمستهزئ: هل كان من شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم، قال: وما هو؟ قال: إني أسري بي الليلة. قال: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس. قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم. فلم ير أن يكذبه مخافة أن يجحد الحديث إن دعا قومه إليه، فقال: رأيت إن دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتني؟ فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم: نعم. فقال: يا معشر بني كعب بن لؤي. قال فتتنقضت إليه المجالس فجاءوا حتى جلسوا

١٤٧- النجم- آية ١٣.

١٤٨ النجم الآيات من ١١ إلى ١٨.

١٤٩ أخرجه مسلم (١٧٢)، والنسائي.

إليهما. قال: حدّث قومك بما حدثتني. فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: إنني أسري بي الليلة. فقالوا: إلى أين؟ قال: إلى بيت المقدس. قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم. قال: فمن بين مصفق، ومن بين واضح يده على رأسه مستضحكاً لما زعم، فقالوا: أتستطيع أن تنعت لنا المسجد؟ - وفيهم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد - فقال رسول الله ﷺ: فذهبت أنعت لهم، فما زلت أنعت حتى التبس عليّ النعت، قال فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع دون دار عقيل أو دار عقال، فنعته وأنا أنظر إليه. فقال القوم: أما النعت فقد والله أصاب<sup>١٥٠</sup>.

وجاء أيضاً في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (لما كذبتني قريش قمت في الحجر، فجلاً الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه)<sup>١٥١</sup>.

وهكذا يكون المسجد الأقصى قرة عين للنبي ﷺ ومفرجاً لكربه، مزيلاً لهماه وغمه، مرغماً لأعدائه وداحضاً لشكوكهم وتشكيكهم.. ولذلك فقد أنبأنا رسول الله ﷺ أن النظر إلى بيت المقدس يجلب الغبطة والسرور وراحة البال فقال في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه قال: (تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ أيهما أفضل: أمسجد رسول الله ﷺ أم بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ: (صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى هو، وليوشكن لأن يكون للرجل مثل شطن<sup>١٥٢</sup> فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خير له من الدنيا جميعاً - أو قال- خير له من الدنيا وما فيها). وفي رواية: (صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المصلى في أرض المحشر والمنشر، وليأتين على الناس زمان لقيد سوط - أو قال: قوس- الرجل حيث يرى منه بيت المقدس خير له - أو أحب له- من الدنيا جميعاً)<sup>١٥٣</sup>.

ولعلنا هذه الأيام نعيش واقع هذا الحديث، فالأمة محرومة من شد الرحال إلى بيت المقدس وبالكاد يستطيع أحد أن يذهب إليه ويمتدح ناظره بجماله وبهائه، فحتى أهل القدس لا يستطيعون البناء في أراضيهم لأن سلطات الاحتلال اليهودي البغيض

١٥٠ أخرجه أحمد في المسند والطبراني في الكبير والنسائي في الكبرى وقال الهيثمي في المجمع رواه أحمد والبخاري في الكبير والأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند رقم (٢٨٢٠).

١٥١ أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وعبد الرازق وأحمد في المسند.

١٥٢ شطن الفرس: الحبل الطويل الذي يربط فيه الفرس.

١٥٣ أخرجه إبراهيم بن طهمان في مشيخته برقم (٦٢) والحاكم في المسند والمقدسي في فضائل بيت المقدس والطحاوي في مشكل الآثار والبيهقي في شعب الإيمان وابن عساكر في تاريخ دمشق وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال الهيثمي في المجمع رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح وصححه الألباني في تحذير الساجد ص ١٩٨.

تعتمد إلى هدم بيوتهم ومنازلهم ومصادرة أراضيهم وتقوم بخطط خبيثة لحرمانهم من حقوق الإقامة بمصادرة هوياتهم، كما أنها تعتمد إلى حظر دخول المسجد الأقصى على فئات عمرية محددة.. مما يجعل مجرد الوصول إليه وإمعان النظر فيه نعمة كبرى لا تقدر بثمن.

ولاشك بأن هذه النعمة مصحوبة دائماً بعزة المسلمين في الأرض، فإطلالة عمر الفاروق رضي الله عنه من على جبل المكبر على بيت المقدس وتكبيره هو ومن معه من المسلمين لما رأوا بيت المقدس إنما كان لوصولهم لتلك المرحلة التي كانت مؤذنة بوراثة تلك الأرض وضمها للدولة الإسلامية وفي ذلك قرّة عين لكل مسلم.. وتكرر الأمر مع صلاح الدين الأيوبي عندما حاصر بيت المقدس ودخلها محرراً وكان ذلك إيذاناً بانتهاء عهد الضعف والذلّ الذي أصاب الأمة الإسلامية وعودتها عزيزة أبية شامخة بعودة بيت المقدس لها..

وعندما تقترب جيوش المسلمين من مدينة القدس لتطهيرها من دنس اليهود المحتلين فإن ذلك سيكون إيذاناً ببدء عصر جديد تعود فيه الأمة لسالف عهدها من القوة والرفعة والريادة والصدارة على سائر الأمم.. ونسأل الله تعالى أن يعجل بذلك وأن يُقرّ أعيننا برؤية بيت المقدس طاهراً مطهراً من دنس الأنجاس قتلة الأنبياء.. ولنا هنا أن نورد بعضاً مما قاله من عاين نعمة النظر للمسجد الأقصى وزيارة بيت المقدس لنقف على تلك المعاني العظيمة التي خرجت من مشكاة النبوة في الحديث الذي أوردناه..

فهذا مجير الدين الحنبلي يصف القدس في نهاية القرن التاسع سنة ٩٠٠هـ وهو من أهل القدس وقبره هناك، حيث جاء في كتابه «الأنس الجليل» :  
«وأما رؤية بيت المقدس من بعد فمن العجائب المشهورة في نورانياتها وحسن منظرها من جهة الشرق إذا كان الإنسان على جبل طور زيتا وكذلك من جهة القبلة، وأما من جهة الغرب والشمال فلا يرى منها من بعد إلا القليل لمواراة الجبال لها، فإن بيت المقدس وبلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام في جبال كثيرة الأوعار والأحجار والسير فيها مشقة والمسافة فيها بعيدة فإن الجبال المحيطة بالبلدتين مسافتهما تقريباً ثلاثة أيام طويلاً ومثلها عرضاً بسير الأثقال. ولكن إذا من الله على قاصد الزيارة بالوصول إلى المسجد الأقصى.. فمن حين رؤيته لتلك الأماكن المشرفة يحصل له من الأنس والبهجة ما لا يكاد يوصف، ويسلوا ما حصل له من المشقة والنصب. وقد

أنشد الحافظ ابن حجر عند قدومه لزيارة بيت المقدس في معنى ذلك:

إلى البيت المقدس جئت أرجو      جنان الخلد نزلًا من كريم  
قطعنا في محبته عقاباً      وما بعد العقاب سوى النعيم

والعقاب: جمع عقبة، وهي المرقى الصعب في الجبال، وقد تجمع على عقبات. وجعل ابن حجر في «العقاب» تورية لطيفة لأنه أتبعها بالنعيم ليوهم السامع أنه أراد العقاب بمعنى الجزاء أو العذاب، وهو يريد الطرق الصعبة. والله أعلم.

أما المؤرخ الشيخ أحمد بن المقرئ التلمساني فقد زار بيت المقدس في عام ١٠٢٩هـ (١٦٢٠م) فقال: «ثم قصدت زيارة بيت المقدس في شهر ربيع من هذا العام وقد شملني بفضل الله جوائز الإنعام. وقد تذكرت عند مشاهدة هذه المسالك الصعبة قول ابن حجر العسقلاني - رحمه الله تعالى - وهو مما زادني في هذه الزيارة رغبة: إلى البيت المقدس جئت أرجو.. فلما دخلت المسجد الأقصى، وأبصرت بدائعته التي لا تستقصى بهرني جماله الذي تجلى به عليه».

وكذلك قال الشيخ عبد الغني النابلسي في كتاب «الحضرة الأنيسية في الرحلة القدسية»: (أشرفنا على القدس الشريف. فنسينا عند رؤيتنا ذلك ما قطعنا من العقبات والمهالك. ولله در الحافظ بن حجر العسقلاني حيث قال: إلى البيت المقدس جئت أرجو..

أما ياقوت الحموي صاحب كتاب «معجم البلدان» (٥٧٤هـ-٦٢٦هـ، ١١٧٨م-١٢٢٩م) فبعد أن وصف القدس والأقصى عقب قائلًا: «وفي المسجد أماكن كثيرة وأوصاف عجيبة لا تتصور إلا بالمشاهدة عياناً، ومن أعظم محاسنه أنه إذا جلس إنسان في أي موضع منه يرى أن ذلك الموضع هو أحسن المواضع وأشرحها ولذلك قيل: إن الله نظر إليه بعين الجمال ونظر إلى المسجد الحرام بعين الجلال. وأنشد:

أهيم بقاع القدس ماهبت الصبا      فتلك ربيع الأنس في زمن الصبا  
ومازلت في شوقي إليها مواصلاً      سلامي على تلك المعاهد والرُّبى

ثم ختم بقوله: «والحمد لله الذي وفقني لزيارته».. ونحن نسأل الله تعالى أن يوفقنا لزيارته.

## (٢٣) وادٍ غير ذي زرع.. جبل غير ذي زرع

تتشابه مكة المكرمة مع بيت المقدس في أن الأولى في وادٍ غير ذي زرع وأما الثانية فعلى جبل غير ذي زرع ولله في خلقه شؤون وله في ذلك حكم نجعل أكثرها ولا نعلم إلا ما علمنا منها..

وللوقوف على بعض هذه الحكم واللطائف لابد من إجراء مقارنة بسيطة بين مكة والقدس.. فالقدس تقع على سلسلة جبال ذات سفوح تميل إلى الغرب وإلى الشرق (جبال: المكبر والطور «الزيتون» والمشارف (المشهد أو سكوبس) وجبل النبي صمويل وتل العاصور وجبل موريا) ومحيط القدس صخري قاحل، لا سهل فيه ولا ينابيع، وأقرب عين لها عين أم الدرج من سلوان.. فهي ليست بمركز زراعي، وليست على بحر ولا على طريق تجاري ومع ذلك فإنك تجد فيها خيرات الأرض كلها، بل تجد فيها المنتجات الصيفية في فصل الشتاء.. فالمدينة لم تنشأ في أصل نشأتها للأسباب التي تنشأ لها المدن والقرى، فكما هو معلوم أن الأسباب التي تنشأ لها المدن والقرى: البحر، النهر، الماء، الزراعة، طرق التجارة... أما بيت المقدس فليس لها واحدة من هذه المميزات.. أما مكة المكرمة فنجد أن الأمر متشابه جداً مع القدس وللإجابة على تساؤل: كيف نشأتنا إذن وأصبحنا مدينتين يتزاحم عليهما الناس ويشدون الرحال إليهما من كل أصقاع الأرض؟

إن مكة نشأت بوحي من الله وبيت المقدس كذلك.. وبينهما تشابه كبير وتقارب حتى في طبيعة المكان.. مكة في وادٍ غير ذي زرع وليس فيها شجرة مثمرة ومع ذلك جعل الله أفئدة من الناس تهوي إليها.. استجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام ﴿واجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾.. وقوله أفئدة يحمل معان وإشارات بليغة فالفؤاد محل الحب والهوى والميل والرغبة الشديدة ذلك أن الله قدسها، ومن زارها مرة أحب أن يعود إليها، ومن لم يزرها اشتد شوقه إلى زيارتها..

والحال مشابه مع بيت المقدس فالزمن الذي تأسس فيه بيت مكة هو الزمن الذي تأسس فيه بيت المقدس كما أشرنا لذلك في نقطة سابقة.. وهناك وادٍ غير ذي زرع، وهنا جبل غير ذي زرع.. وهناك أفئدة من الناس تهوي إلى مكة، وهنا جعل الله أفئدة من الناس تهوي إلى بيت المقدس.

ولعل من حكمة الله تعالى إنشاء أول مكانين على الأرض لعبادة الله على هذه الصفة بيان قدرة الله في رزق الناس وإطعامهم، ورمزاً لانقطاع العبد لربه وترك شواغل الدنيا إذا وقف العبد بين يدي ربه، ورمزاً لإخلاص القصد لله تعالى.. فليس



في المدينتين ما يبهر النظر من متاع الدنيا، ولا يقصدهما القاصد من مكان بعيد لطلب مال أو استجداء عطاء أمير، إنما يقصدهما لطلب عطاء ملك الملوك رب العالمين في جنة عرضها السماوات والأرض والله أعلم<sup>١٥٤</sup>.

ومع ذلك كله فإننا يجب ألا نقف عند هذه النقطة دون ربطها بالنقاط القادمة وبيان ما أنعم الله به على المدينتين المقدستين لتعويض ما قد ينشأ عن الطبيعة الجغرافية القاسية وهذه النعم - التي سنورد طرفاً منها ولا نستطيع إحصاءها كلها - لاشك بأنها جلبت للمدينتين خلاصة ما يمكن جنيه من ثمرة كون المدينة زراعية أو تجارية أو صناعية أو غير ذلك دون الحاجة إلى أن تكون بالضرورة قائمة على ذلك..

### ( ٢٤ ) مجاورة مكة والقدس لأخصب البقاع

إستدراكاً لما قد يتبادر لذهن القارئ من تساؤلات حول ما أوردناه في النقطة السابقة، فإننا نعود به لما سبق أن ذكرناه عند دعاء إبراهيم عليه السلام لمكة ودعاء نبينا ﷺ لها وللشام بالبركة ومدھا بأسباب العيش والحياة.. فقد دعا إبراهيم ربه قائلاً: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾<sup>١٥٥</sup>، فكان من بركة هذا الدعاء أن خلق الله أخصب بقاع الجزيرة مجاوراً لها، وهي الطائف حتى أن الكثير من المفسرين أشاروا إلى ربط عجيب هنا بين مكة والشام بقولهم: (لما دعا إبراهيم عليه السلام ﴿فاجعل أفتدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات﴾ استجاب الله له فجعله مثابة ورزق أهله من الثمرات فنقل إليهم الطائف وكانت قرية بالشام)<sup>١٥٦</sup>، وقال القرطبي في تفسيره للآية (روي أنه لما دعا بهذا الدعاء أمر الله تعالى جبريل فاقتلع الطائف من الشام، وما يليها (مكة) حين ذلك، قفراً لاماء ولا نبات فبارك الله فيما حولها كالطائف وغيرها وأنبت فيها أنواع الثمرات)<sup>١٥٧</sup>، وجاء في الدر المنثور: (أخرج الأزرقى عن محمد بن المنكدر عن النبي ﷺ: لما وضع الله الحرم نقل إليه الطائف من فلسطين)، وأخرج ابن جرير عن محمد بن مسلم الطائفي قال: (بلغني أنه لما دعا إبراهيم للحرم ﴿وارزق أهله من الثمرات﴾ نقل الله الطائف من

١٥٤ بيت المقدس والمسجد الأقصى ص ٥٢-٥٤.

١٥٥ إبراهيم الآية ٣٧.

١٥٦ أورده ياقوت الحموي في معجم البلدان ج ٤/١٢ عن الأزرقى عن الكلبى بإسناده.

١٥٧ تفسير القرطبي ج ٢/١١٢.

فلسطين)، وأخرج الأزرقي عن سعيد بن المسيب بن يسار قال: (سمعت بعض ولد نافع بن جبير بن مطعم وغيره يذكر أنهم سمعوا أنه لما دعا إبراهيم بمكة أن يرزق أهله من الثمرات نقل الله أرض الطائف من الشام فوضعها هناك رزقاً للحرم. وأورد صاحب تفسير الجلالين في معرض تفسيره للآية قوله ﴿وارزق أهله من الثمرات﴾: وقد فعل بنقل الطائف من الشام<sup>١٥٨</sup>.

وقد من الله على أهل مكة بهذه النعمة فقال: ﴿أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>١٥٩</sup>، وكذلك الحال مع بيت المقدس فقد أحاطها الله تعالى بأخصب أراضي الشام وهياً لها ما يمدّها بوافر الثمر من خلال تنوع الطبيعة الجغرافية للأراضي المحيطة بها فمنطقة الغور وأريحا ترتفع درجة الحرارة بسبب الانخفاض الكبير عن مستوى سطح البحر بما يناسب أصنافاً من الثمار والمزروعات، وفي الخليل يساعد ارتفاع الأرض على زراعة محاصيل أخرى وكذلك مرتفعات الجليل، ويوجد إلى جانب كل ذلك السهل - الأكثر خصوبة في فلسطين - المسمى بمرج بني عامر وكذلك تأتي المدن الساحلية بما تنتجه من حمضيات ومحاصيل أخرى، والقدس إضافة لكل ما حولها يحدها بحران (المتوسط والميت) ويجري قريباً منها جداول وأنهار وتقع في محيطها أيضاً بحيرة طبرية وكل ذلك يشكل رافداً مهماً يسوق إليها أيضاً ثمرات كل شيء رزقاً من الله الوهاب الرزاق. لتشارك في ذلك مع شقيقتها مكة بهذه الميزة التي قل أن تحظى بها مدينة من المدن.

## (٢٥) زمزم وعين سلوان

إضافة لتوفير الثمار للمدينتين المقدستين من خلال المناطق الخصبة المجاورة لهما - وهو ما لا يغني عن الماء عصب الحياة وشريانها - فقد خصّهما الله تعالى بتوفير الماء لهما فجعل مكة عين زمزم ولبيت المقدس عين سلوان (وتسمى أيضاً عين أم الدرج)، وقد حازت زمزم على مكانة عظيمة لمجاورتها الكعبة وبركتها حتى أن العرب كانت تتنافس على شرف سقاية الحاج منها وما زالت حتى اليوم تحظى بتلك المكانة الرفيعة في قلوب كل المسلمين لشرفها وبركتها، الأمر الذي جعل حجاج البيت وعمّاره لا يجدون أفضل من زمزم يعودون به هدية لأهاليهم فيجلّبونها لبلادهم البعيدة ويتسابق

١٥٨ تفسير الجلالين ج٢٦/١.

١٥٩ القصص الآية ٥٧.

الجميع على تهنئتهم بالعودة من أداء المناسك طمعاً في أن يحظوا بشربة ثمينة من..  
ماء زمزم!!

ولا عجب في ذلك فقد كانت زمزم المنقذ لإسماعيل عليه السلام وأمه بعد أن تركهما إبراهيم عليه السلام في وادي مكة المقفر الجاف -بوحى الله تعالى - فلما تدفق الماء تحت أقدام إسماعيل عليه السلام كان ذلك إيذاناً بعمارة مكة وظهورها وكانت زمزم بذلك أول الرحمات النازلة من الرحمان الرحيم استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام وبقيت كذلك حقبة من الزمن ثم ردمت وطُمست أثرها حتى اكتشفها وأعاد حضرها عبد المطلب جد النبي ﷺ تهيئةً لمكة لاستقبال الحدث العظيم الذي سيشرح نوره عليها وعلى البشر كافة..

إن زمزم التي تفجرت تحت أقدام إسماعيل ضربة من جناح جبريل عليه السلام حازت على مكانة كبيرة جعلتها خير ماء على وجه الأرض كما جاء في الحديث عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم فيه طعام الطعم وشفاء السقم)<sup>١٦٠</sup>. وقد ورد في فضله أيضاً العديد من الأحاديث منها:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (ماء زمزم لما شرب له فإن شربته تستشفى به شفاك الله، وإن شربته مستعيذاً عاذك الله، وإن شربته ليقطع ظمأك قطعه)<sup>١٦١</sup> وفي رواية: (وهي هزيمة جبريل وسقيا الله إسماعيل)<sup>١٦٢</sup>، قال: وكان ابن عباس إذا شرب ماء زمزم قال: «اللهم أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاءً من كل داء». وعن وكيع عن مغيرة بن زياد عن عطاء في ماء زمزم يخرج به من الحرم فقال: (انتقل كعب بثنتي عشرة راوية إلى الشام يستقون بها)<sup>١٦٣</sup>.

وقد جاء في قصة إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه (ثم رفع رأسه ثم قال: متى كنت هاهنا؟ قال: قلت: قد كنت هاهنا منذ ثلاثين بين ليلة ويوم. قال: فمن كان يطعمك؟ قال: قلت: ما كان لي طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما أجد على كبدي سخفة جوع. قال: إنها مباركة إنها طعام طعمة فقال أبو بكر يا رسول الله إئذن لي في طعامه الليلة فانطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر وانطلقت، ففتح

---

١٦٠ رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات وصححه ابن حبان (مجمع الزوائد ج ٣/٢٨٦).  
١٦١ المستدرک على الصحيحين ج/١٦٦٦ برقم ١٧٣٩ وقال هذا حديث صحيح الإسناد إن سلم من الجارودي ولم يخرجاه.

١٦٢ سنن الدارقطني ج٢/٢٨٩ برقم (٢٢٨).

١٦٣ مصنف ابن أبي شيبة ج٥/٦٣.

أبو بكر باباً فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف وكان ذلك أول طعام أكلته»<sup>١٦٤</sup>.

أما بيت المقدس فقد بنيت في أول نشأتها على تلال «الضهور» التي تقع للغرب من «سلوان» وهي بلدة مجاورة لسور القدس من الجنوب لا تبعد عنه سوى بضعة أمتار وتعد من أحياء القدس الآن، وعندها عين الماء التي تدعى «عين سلوان» أو «أم الدرج» الموجودة أسفل «الضهور»، وهي النبع الوحيد الذي يقع في القدس القديمة. وتعرف أيضاً بعين «ستنا مريم»، وهذه العين نبع منخفض يخرج من الصخر الصلب في الجانب الشرقي من «الضهور-سلوان» وينزل إليها بواسطة درجات توصلها إلى كهف طبيعي عند منتصف وادي جهنم (واسمه قدرون ويسميه العرب وادي سلوان أو وادي ستي مريم ووادي النار)، ومن هذا الدرج أخذت إسمها (أم الدرج).. وعن وصولها لمدينة القدس ذكر أن سكان مدينة القدس لما زاد عددهم في نحو عام ٢٠٠٠ ق.م رأوا أن يستفيدوا من عين سلوان فحفروا نفقاً تحت الأرض في الصخر يصل بين المدينة وهذه العين مما يسهل وصول السقاة إليها، ويفيدهم أوقات الحصار.. وقد نقل ياقوت الحموي في معجمه أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أوقفها -أي العين- على ضعفاء بيت المقدس.

وقد قال عنها أبو العلاء المعري:

وَبِعَيْنِ سُلْوَانَ الَّتِي فِي قُدْسِهَا طَعْمٌ يُؤْهِمُ أَنَّهُ مِنْ زَمْرَمٍ

وجاء وصفها على لسان «يوسيفوس» في مرحلة مبكرة جداً (منتصف القرن الميلادي الأول ٥٠م) بقوله: «..يمتد إلى سلوان التي فيها عين بهذا الإسم، ماؤه عذب غزير..»<sup>١٦٥</sup>. وقد أورد الرحالة «ناصر خسرو» -الذي زار القدس عام ٤٣٨هـ- وصفاً لعين سلوان جاء فيه: «وحين يسير السائر من المدينة جنوباً مسافة نصف فرسخ وينزل المنحدر يجد عين ماء تنبع من الصخر تسمى «عين سلوان» وقد أقيمت عندها عمارات كثيرة ويمر ماء هذا العين بقرية شيد فيها عمارات كثيرة وغرسوا بها البساتين، ويقال إن من يستحم من ماء هذه العين يشفى -بإذن الله- مما ألم به من الأوصاب والأمراض المزمنة، وقد وقفوا عليها مالاً كثيراً»<sup>١٦٦</sup>.

وقال عنها ياقوت الحموي: (ويشرب أهل المدينة -القدس- من ماء المطر ليس فيها

١٦٤ صحيح مسلم ٢٤٧٣.

١٦٥ عن كتاب «جغرافية الكتاب وتاريخه» تأليف كنت تشارلس فوسة طبع بيروت ١٩٢٢م.

١٦٦ سفرنامه ج ٧٥/١.

دار إلا وفيها صهريج.. وبها ثلاث برك عظام.. وعين سلوان في ظاهر المدينة في وادي جهنم مليحة الماء). أما مجير الدين الحنبلي (٩٠٠هـ) ففي وصفه للقدس في كتابه «الأنس الجليل» لم يغفل عن ذكرها فقال: (..أما عين سلوان فهي بظاهر القدس الشريف من جهة القبلة بالوادي يشرف عليها سور المسجد القبلي..) إلا أنه أورد حديثاً موضوعاً عن أن الله اختار من المدائن أربعاً: مكة، والمدينة، وبيت المقدس، ودمشق، واختار من العيون أربعاً: عينان تجريان هما عين بيسان وعين سلوان، وعينان نضاختان هما عين زمزم وعين عكا.. ثم قال: وعن خالد بن معدان أنه قال: (زمزم وعين سلوان التي ببيت المقدس من عيون الجنة). وخالد بن معدان تابعي من أهل حمص، وهو ثقة، إلا أن الخبر الذي ذكره المؤلف لا يعرف سنده، فليس من الآثار أن زمزم من عيون الجنة فكيف بعين سلوان؟

وقال بعد ذلك: من أتى بيت المقدس فليأت محراب داود وليصل فيه وليسبح في عين سلوان فإنها من الجنة، ولا يدخل الكنائس، ولا يشتري فيها فإن الخطيئة فيها مثل ألف خطيئة والحسنة مثل ألف حسنة. وبغض النظر عن صحة ذلك فهو لم يسنده لمصدر شرعي - وإنما لخالد بن معدان - فذلك يدل على أن عين سلوان كانت تحظى بمكانة رفيعة جعلتها عرضة للمبالغة والتهويل والمدح الزائد عن الحد. وهو ما يجعلنا نؤكد أن الغرض من ذكرها في هذه النقطة ليس إضفاء هالة من القداسة عليها بل للاستدلال من خلال بقائها جارية عبر آلاف السنين مثلها في ذلك مثل ماء زمزم على مدى عناية الله ورحمته التي اختص بهما مدينتي مكة والقدس..

ولابد هنا من الإشارة إلى خطط اليهود الخبيثة في محاولاتهم لمصادرة عين سلوان بادعاء أنها مقدسة عندهم، حتى أنهم في محاولاتهم الإجرامية الهادفة لهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل المزعوم مكانه يقوم زعماء الحركات المتطرفة منهم - وكلهم متطرفون - بغسل ما يسمونه حجر الأساس للهيكل المزعوم في عين سلوان قبل أن يحاولوا إدخاله إلى ساحة المسجد الأقصى.. وهي طقوس ابتدعوها ليضيفوا على عين سلوان هالة معينة كي يقنعوا أتباعهم من خلالها أن لها قداسة خاصة في دينهم تجعلهم أحق بها تمهيداً للاستيلاء عليها بالكامل.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

## (٢٦) حجر مبارك.. وصخرة مباركة

يتزاحم الحجيج والمعتمرون وزوار بيت الله الحرام على الحجر الأسود عليهم يحظون بفرصة تقبيله أو استلامه اقتداء بسنة المصطفى عليه الصلاة والسلام الذي اجتمعت قبائل العرب في الجاهلية على أن يقوم بوضعه بيديه الشريفتين في مكانه بركن الكعبة بعدما أعادوا بناءها..

ذلك الحجر المبارك وردت فيها العديد من الأحاديث التي تُبين فضله وبركته منها: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن، وإنما سؤدته خطايا بني آدم»<sup>١٦٧</sup>.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ: (ليأتين هذا الحجر يوم القيامة وله عينان يبصر بهما، ولساناً ينطق به، يشهد على من استلمه بحق)<sup>١٦٨</sup>، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة، طمس الله نورهما، ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب)<sup>١٦٩</sup>.

وهناك في قلب المسجد الأقصى تربض صخرة بيت المقدس وفوقها القبة الأبهى والأجمل والأروع.. والحديث عن صخرة بيت المقدس يحتاج لتحفظ وتأن شديدتين بسبب ما وقع فيه من تجاذب بين مغالين فيها، وبين مهوئين من شأنها ومكانتها وهو ما لا نوافق أو نقر لأي منهما بذلك، فأضعف الإيمان أن نقول بأنها جزء من ساحة المسجد الأقصى فهي مباركة لبركته، وأنها كانت قبلة لفترة من الزمن<sup>١٧٠</sup>.

إن من الأحاديث المكذوبة ادعاء أن الأنهار كلها والسحاب والبحار والرياح تنشأ من تحت صخرة بيت المقدس، والقول أن من بركتها أن كل ماء عذب يخرج من أصلها، بل وأن أنهار الجنة تنبع من تحتها، والقول بأنها عرش الله الأدنى، وغير ذلك مما لم يثبت منه شيء عن النبي ﷺ.

ومع نفيها لهذه الأخبار عن صخرة بيت المقدس فإننا نثبت لها مزايا شرفت بها، وسأورد ما لا خلاف عليه ألا وهو فعل الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقت دخوله بيت المقدس، ففعله يدل على احترام وتوقير وتشريف لها. فقد أورد الإمام

١٦٧ رواه الترمذي وقال حديث صحيح وعند النسائي (الحجر الأسود من الجنة) لم يزد.

١٦٨ رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

١٦٩ أخرجه الترمذي وقال حديث غريب.

١٧٠ انظر نقد المنقول ج١/٧٩.

أحمد في مسنده (٣٨/١) عن عبيد بن آدم «قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لكعب: أين ترى أن أصلي؟ فقال: إن أخذت عني، صليت خلف الصخرة، فكانت القدس بين يديك، فقال عمر: ضاهيت اليهودية. لا، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ، فتقدم إلى القبلة فصلى، ثم جاء فبسط رداءه فكنس الكناسة في رداءه، وكنس الناس»<sup>١٧١</sup>. والمقصود كنس الكناسة عن الصخرة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «المسجد الأقصى اسم لجميع المسجدين.. وقد صار بعض الناس يسمي «الأقصى» المصلى الذي بناه عمر بن الخطاب في مقدمه، والصلاة في هذا المصلى الذي بناه عمر للمسلمين أفضل من الصلاة في سائر المسجدين، فإن عمر بن الخطاب لما فتح بيت المقدس، وكان على الصخرة زبالة عظيمة، لأن النصارى كانوا يقصدون إهانتها، مقابلة لليهود الذين يصلون إليها، فأمر عمر بإزالة النجاسة عنها»<sup>١٧٢</sup>.

وما يعيننا هنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الرغم من رفضه الصلاة خلف الصخرة إلا أنه بعد أن أتم صلاته قام بنفسه بكنس الكناسة والزبالة عنها وإزالتها بردائه مبالغة في إظهار اهتمامه ولفت أنظار المسلمين حتى قاموا بعد ذلك بالاعتداء به والمبادرة لتنظيفها مع أمير المؤمنين. ولا شك بأن إغفال دلالات ذلك الفعل إضافة لشواهد أخرى وجيهة يعد ابتعاد عن هدي السلف الصالح ومنهم الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكما أننا نتأسى به وهو الحريص أشد الحرص على عقيدته وإيمانه والقائل مخاطباً الحجر الأسود: «والله إنني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك»، فإننا يسعنا جداً أن نهتدي بهديه في تعامله مع صخرة بيت المقدس وتوقيره لها.

أما ما جاء في كثير من التفاسير من أن إسرافيل ينفخ في الصور من على صخرة بيت المقدس فالأمر لا يتناقض مع أحاديث صحيحة بأن بيت المقدس فيه المحشر والمنشر ولا يقدر في العقيدة ولا يوجد ما يتعارض معه عقلاً أو نقلاً ونحن نورد ما جاء في التفاسير كما هي والله أعلم..

ففي تفسير ابن كثير جاء في تفسير آية ﴿واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب﴾<sup>١٧٣</sup>: «يقول تعالى: واستمع يا محمد يوم يناد المنادي من مكان قريب. قال قتادة

---

١٧١ قال ابن كثير في البداية والنهاية ٥٨/٧. هذا إسناد جيد، اختاره الحافظ ضياء الدين المقدسي في كتابه المستخرج.  
١٧٢ مجموعة الرسائل الكبرى ٥٧/٢-٥٨.  
١٧٣ سورة ق آية ٤١.

قال كعب الأحبار: يأمر الله تعالى ملكاً أن ينادي على صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة إن الله يأمركن أن تتجمعن لفصل القضاء»<sup>١٧٤</sup>. وفي تفسير القرطبي ذكر ذلك أيضاً وقال «المكان القريب صخرة بيت المقدس يقال إنها وسط الأرض وأقرب الأرض من السماء باثني عشر ميلاً وقال كعب بثمانية عشر ميلاً ذكر الأول القشيري والزمخشري والثاني الماوردي» «أقول: وقد تكلم العلماء والباحثون أن أقرب نقطة إلى السماء من الأرض هي القدس وأن أفضل منطقة لاختراق الغلاف الجوي تقع فوق القدس.. والله أعلم»<sup>١٧٥</sup>.

وعن تلك العلاقة المميزة بين الحجر الأسود وصخرة بيت المقدس يشير العماد الأصفهاني في أبيات له تقول :

ففي موافقة البيت المقدس	للبيت الحرام لنا تيةً وإعجابُ
والصخر والحجر المثلثوم جانبه	كلاهما لاعتماد الخلق محرابُ
نقى من القدس صلباناً كما نُفِيتْ	من بيت مكة أزلام وأنصابُ

ونخلص مما سبق إلى أنها صخرة مباركة في المسجد الأقصى يجب على المسلمين بذل كل جهودهم للحفاظ عليها من مكر شياطين الإنس من اليهود الملاحين الذين يسعون من خلال حفر الأنفاق تحتها إلى تدميرها وإزالتها عن الوجود ليتسنى لهم بناء هيكلهم المزعوم على أنقاضها.. وإن بقاء الأمة الإسلامية في موقف المتفرج سيزيد الخطر عليها وعلى المسجد الأقصى فلا يظنن ظان أن الله سيرسل طيراً بأبواب لحماية الأقصى وإن كان أبناء فلسطين قد أثبتوا أنهم يتقصدون دور الطير الأبوابل بقذفهم اليهود بحجارة الأرض المباركة ليسوءوا وجوههم ويردوا كيدهم عن المسجد الأسير، ولكنهم مع كل ما يسطرونه من ملاحم في التضحية والفداء بحاجة إلى مساعدة وعون ومدد أمتهم لهم وعدم تركهم وحدهم في الميدان أمام عدو شرس متربص..

إن الحجر الأسود المبارك تعرض في فترة ضعف للمسلمين للسرقة والسطو على أيدي القرامطة وتسببوا في كسره وضياع أجزاء منه حتى قيض الله من يعيده إلى مكانه بعد عشرين عاماً كاملة!! وكذلك جرى للصخرة المشرفة زمن الصليبيين الذين

<sup>١٧٤</sup> تفسير ابن كثير ج ٤/ ٢٣٤.

<sup>١٧٥</sup> وقد ورد مثل ذلك في شرح سنن ابن ماجه ج ١/ ٢٤٧ وفي السنن الواردة في الفتن ج ٦/ ١٢٨٦. وفي فضائل الصحابة لابن حنبل ج ٢/ ٩٠١ وفي فتح القدير ج ٤/ ص ٣٤.



دنسوها قرابة ٨٨١ عاماً فقد أورد ابن الأثير (أن القسيسين باعوا كثيراً منها) (الصخرة) للفرنج الواردين إليهم من داخل البحر للزيارة، فكانوا يشترون بوزنه ذهباً رجاء بركتها، وكان أحدهم إذا دخل بلاده باليسير منها، بنى له كنيسة وجعل ذلك في مذبحها، فخاف بعض ملوكهم أن تفضى، فأمر بها ففرش فوقها «الرخام» حفظاً لها) ثم قام صلاح الدين الأيوبي رحمه الله عقب تحرير القدس بكشف الصخرة وإزالة الرخام عنها ووضع شبابيك من حديد حولها..

## (٢٧) فتح مكة وفتح بيت المقدس

كان فتح مكة ثمرة جهاد مضمّن وجهد متواصل وصبر ومصابرة وكان تتويجاً للأعمال العسكرية التي خاضها المسلمون بقيادة نبي الملحمة ﷺ ضد كفار قريش وكان ذلك الفتح بوابة دخول الناس في دين الله أفواجاً وقد خلده الله تعالى في كتابه الكريم في العديد من الآيات وحملت سورة النصر كل معاني العزة والإباء بهذا الفتح المبين.. قال الله تعالى فيها ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.. ولأن موضوع بحثنا هو العلاقة بين المسجد الأقصى والبيت الحرام فمما يلفت الانتباه إلى أن فتح بيت المقدس تم على أيدي فاتحي مكة وإن غيَّب الموت كثيرين منهم ونسوق هنا بعض القواسم المشتركة بين فتح مكة وفتح بيت المقدس فالمقريري صاحب كتاب «إمتاع الأسماع» يصف جيش المسلمين نحو مكة فيقول: «وعبأ رسول الله ﷺ أصحابه، فجعل أبا عبيدة بن الجراح على المقدمة، وخالد بن الوليد على اليمين، والزبير بن العوام على اليسرة، وهو ﷺ في القلب، وقدم بين يديه الكتائب»<sup>١٧٦</sup>.

وفي فتح بيت المقدس نجد أن القائد العام للمسلمين هو أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه الذي تولى حصار المدينة ومناوشة أهلها، وكان يقود معه جيوش المسلمين في معركة اليرموك الفاصلة التي مهدت الطريق نحو بيت المقدس سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه.. ثم إن أبا عبيدة قام بتوجيه خالد بن الوليد في خمسة آلاف فارس نحو بيت المقدس ثم أتبعه بخمسة آلاف آخرين بقيادة يزيد بن أبي سفيان ثم خمسة آلاف بقيادة شرحبيل بن حسنة واجتمعت الجيوش كلها ولحق بها أبو عبيدة وضربوا الحصار حول المدينة المقدسة في أيام برد شديد... ويذكر أنه لما وصلت طلّائع

١٧٦ إمتاع الأسماع ج١/٣٧٢.

جيش الفتح الإسلامي أسوار بيت المقدس، ورفع المسلمون أصواتهم بالتهليل والتكبير، وقع الرعب في قلوب الروم، وذهبوا إلى البطريرك فأخبروه بمقدم أمير القوم فقال: (وحق الإنجيل إن كان قدم أميرهم فقد دنا هلاككم والسلام. قالوا: وكيف ذلك؟ قال: لأننا نجد في العلم الذي ورثناه عن المتقدمين أن الذي يفتح الأرض في الطول والعرض الرجل الأسمر الأحمور المسمى بعمر صاحب نبيهم محمد، فإن كان قدم فلا سبيل لقتاله، ولا طاقة لكم بنزاله.. إلخ).. فوثب البطريرك ومعه القساوسة والرهبان، ليتحققوا من شخصية الأمير فعرفوا أنه ليس بعمر، وقال لبني قومه: «ليس هو هذا الرجل فأبشروا وقاتلوا عن بلدكم ودينكم»، وأقبلوا يقاتلون القتال الشديد، واستمر النزال والحصار لهذه المدينة أربعة أشهر أظهر فيها المسلمون بطولة نادرة فقاتلوا قتالاً شديداً، وصبروا على البرد القارس والثلج والمطر، ولما رأى أهل بيت المقدس شدة الحصار وإحكامه وشجاعة المسلمين وصبرهم طلبوا من البطريرك أن يظهر للمسلمين ويعرف ما يريدون، فظهر البطريرك، وقام له أبو عبيدة وجماعة من المسلمين، فقال لهم: «ماذا تريدون منا في هذه البلدة المقدسة؟ ومن قصدها يوشك أن يغضب الله عليه ويهلكه». فقال أبو عبيدة: «نعم، إنها شريفة وفيها أسري نبينا إلى السماء ودنا كقاب قوسين أو أدنى، وأنها معدن الأنبياء وقبورهم فيها، ونحن أحق منكم بها، ولأنزال نقاتلكم عليها، أو يُملَكنا الله إياها، كما ملَكنا غيرها». وعندها استياسوا وطلبوا الصلح من أبي عبيدة على أن يتولى الخليفة عمر بنفسه استلام المدينة ليضمنوا العهد والأمان منه.

وعمر رضي الله عنه كان في فتح مكة موكلاً بترتيب صفوف الجيش كما ذكر المقرئ: «فلما طلعت كتيبة رسول الله ﷺ الخضراء، طلع سوادٌ وغبرة من سنابك الخيل.. ومعه المهاجرون والأنصار، فيها الرايات والألوية مع كل بطن من الأنصار راية ولواء لا يرى منهم إلا الحدق، ولعمر بن الخطاب فيها زجل<sup>١٧٧</sup>، وعليه الحديد، وهو يزعمها<sup>١٧٨</sup>، فقال أبو سفيان: لقد أمر أمرٌ عدي<sup>١٧٩</sup> بعد قلة وذلة!! فقال العباس: إن الله يرفع ما يشاء بما يشاء، وإن عمر ممن رفعه الإسلام»<sup>١٨٠</sup>.

وإذا كان الله قد رفع شأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمشاركته في فتح مكة

١٧٧ الزجل: جلبة وصوت رفيع عالٍ كأنه الرعد.

١٧٨ وزَّع الجيش يَزَعُه: رتبته وصفه، وسوى صفوفه، وكثفه عن التفرق والانتشار.

١٧٩ أمير أمره: ارتفع شأنه وعظم سلطانه ويقصد بذلك عمر.

١٨٠ إمتاع الأسماع ج١/٢٧٤-٢٧٥.

المكرمة، فقد خلده عبر التاريخ بأنه فاتح بيت المقدس.. فقد أرسل إليه القائد العام لجيوش المسلمين أبو عبيدة أن يحضر لتسلم المدينة، فسار بنفسه إلى بيت المقدس ممتطياً بعيراً أحمر عليه غرارتان (على الوصف المكتوب لدى النصارى في كتبهم) ودخل القدس عن طريق جبل المكبر الذي سمي بهذا الاسم لأن عمر رضي الله عنه لما أشرف على المدينة المقدسة من فوقه كبر وكبر معه المسلمون كما قيل.. ودخل عمر القدس فكانت المدينة الوحيدة التي تحرك لأجلها خليفة المسلمين عمر رضي الله عنه على الرغم من اتساع رقعة الفتوحات في عهده ولكنها ميزة امتازت بها القدس عن غيرها من المدن لتتشارك بذلك مع شقيقتها مكة المكرمة في ذلك الشرف العظيم.

وفي فتح مكة وفتح بيت المقدس لطيفة تتعلق بهما إذ أن عمر بن الخطاب لما أراد رسول الله ﷺ الرجوع عقب صلح الحديبية قال عمر ورجال معه: يا رسول الله! ألم تكن حدثتنا أنك تدخل المسجد الحرام، وتأخذ مفتاح الكعبة، وتُعرّف مع المعرفين؟ وهدينا لم يصل إلى البيت ولا نحن! فقال: قلت لكم في سفركم هذا؟ قال عمر: لا. فقال ﷺ: أما إنكم ستدخلونه، وأخذ مفتاح الكعبة، وأحلق رأسي ورؤوسكم ببطن مكة، وأُعرّف مع المعرفين. ثم أقبل على عمر رضي الله عنه وقال: أنسيتم يوم أحد إذ تُصعدون ولا تلوون على أحد، وأنا أدعوكم في أخراكم؟ أنسيتم يوم الأحزاب، إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر؟ أنسيتم يوم كذا؟ والمسلمون يقولون: صدق الله ورسوله، يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه، ولأنت أعلم بالله وبأمره منا.

فلما دخل ﷺ عام القضية (عمرة القضية) وحلق رأسه قال: «هذا الذي وعدتكم. فلما كان يوم الفتح أخذ المفتاح وقال: ادعوا إلي عمر ابن الخطاب! فقال: هذا الذي قلت لكم. فلما كان في حجة الوداع وقف بعرفة فقال: أي عمر! هذا الذي قلت لكم. قال: أي رسول الله! ما كان فتح في الإسلام أعظم من صلح الحديبية. وكما بشرهم النبي ﷺ بفتح مكة ومعابنتهم ذلك - خاصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه -<sup>١٨١</sup> فقد بشرهم أيضاً بفتح بيت المقدس حتى عاينوه بأنفسهم فقد جاء في حديث عوف بن مالك رضي الله عنه الحديث<sup>١٨٢</sup>، وقد تحقق ذلك على يد عمر رضي الله عنه ليجتمع

١٨١ إمتاع الأسماع ج١/٢٩٥، ٢٩٦.

١٨٢ رواه البخاري.

له تحقق الواعدين معاً.. ونحن على يقين بتحقيق وعد رسول الله ﷺ لنا بدخوله من جديد بعد مقاتلة اليهود وقتلهم وإفنائهم، طال الزمان أو قصر. وننوه هنا إلى ما كان من شأن أبي عبيدة رضي الله عنه وقت شهادته بطاعون عمواس.. فقد انطلق من الجابية يريد الصلاة ببيت المقدس فلما حضرته الوفاة قال فيما قاله: (..وادفوني من غربي نهر الأردن إلى الأرض المقدسة ثم عاد فقال: (إدفوني حيث قضيت فإني أتخوف أن تكون سنة)<sup>١٨٣</sup>، ولئن دل ذلك على شيء، فإنه يدل على مدى تعلقه بالأرض المقدسة وحرصه على ملازمتها حتى بعد موته رضي الله عنه وهو شعور نابع من معرفة قدرها ومكانتها وقداستها. لبت لدينا منه ولو شيئاً يسيراً.

### (٢٨) أذان بلال

في يوم فتح مكة.. «جاءت الظهر، فأمر رسول الله ﷺ بلالاً أن يؤذن فوق ظهر الكعبة. وكانت قريش فوق رؤوس الجبال، وقد فرّ وجوههم وتغيّبوا خوفاً أن يقتلوا. فلما أذن بلال ورفع صوته كأشد ما يكون وقال: أشهد أن محمداً رسول الله، قالت جويرية بنت أبي جهل قد لعمرى رفع لك ذكرك! أما الصلاة فسنصلي، والله لا نحب من قتل الأحبة أبداً، ولقد كان جاءه الذي جاء محمداً من النبوة فردها وكره خلاف قومه! وقال خالد بن الأسيد<sup>١٨٤</sup>: الحمد لله الذي أكرم أبي فلم يسمع هذا اليوم! وقال الحارث بن هشام: واتكلاه! ليتني مت قبل هذا اليوم! قبل أن أسمع بلالاً ينهق فوق الكعبة! وقال الحكم بن العاص: هذا والله الحدث العظيم، أن يصيح عبد بني جمح على بنية أبي طلحة<sup>١٨٥</sup>! وقال سهيل بن عمرو: إن كان هذا سخطاً لله فسيغيره وإن كان لله فسيقره. وقال أبو سفيان بن حرب: أما أنا فلا أقول شيئاً، لو قلت شيئاً لأخبرته هذه الحصباء! فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فأخبره خبرهم<sup>١٨٦</sup>. وزاد المباركفوري في الرحيق المختوم: (فخرج عليهم النبي ﷺ فقال لهم: قد علمت الذي قلتم، ثم ذكر ذلك لهم. فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله. والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول: أخبرك!)

إن بلال بن رباح رضي الله عنه إقترن اسمه بالأذان الذي هو شعار الإسلام وعلامته وحسبه شرفاً وفخراً أنه كان مؤذن رسول الله ﷺ وأنه كان أول من أذن في

١٨٣ ابن عساكر - ترجمة أبي عبيدة ٣١٦.

١٨٤ في الرحيق المختوم (عتاب بن أسيد).

١٨٥ البنية: البيت المبني يريد الكعبة.

١٨٦ إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٩٠-٢٩١.

البيت الحرام بعد فتحه وتطهيره من دنس الشرك والمشركين.. وهو أيضاً أول من أذن في المسجد الأقصى عقب فتحه وتطهيره من دنس النصرانية والوثنية.. ولذلك قصة عجيبة في مدى حرصه -رضي الله عنه- على الجهاد في سبيل الله على أرض الشام، فبمجرد استقرار الأمر لدى أبي بكر الصديق رضي الله عنه بقصد الشام للجهاد، أمر بلالاً فنأدى في الناس: (إنفروا إلى جهاد الروم بالشام)<sup>١٨٧</sup>. ثم لما أراد سعيد بن عامر السير إلى الشام جاء بلال إلى أبي بكر فقال: «يا خليفة رسول الله، إن كنت أعتقتني لأقيم معك وتمنعني مما أرجو لنفسي فيه الخير، أقمت معك. وإن كنت إنما أعتقتني لله لأملك نفسي وأضطرب فيما ينفعني فخلّ سبيلي حتى أجاهد في سبيل ربي، فإن الجهاد أحب إلي من المقام».

فقال له أبو بكر: «وإن الله يشهد أنني لم أعتقك إلا له، وإنني لا أريد لك جزاءً ولا شكوراً، وإنني لا أحب أن تدع هواك لهوأي ما دعاك هواك إلى طاعة ربي».

قال بلال: «إن شئت أقمت». فقال أبو بكر: «أما إذا كان هواك في الجهاد فلم أكن لأمرك بالمقام، إنما كنت أريدك للأذان، وإنني لأجد لفراقك وحشة يا بلال، فما بد من التفرق فرقة لالقاء بعدها أبداً حتى يوم البعث. فاعمل صالحاً يا بلال يكن زادك من الدنيا ويذكرك الله به ما حييت، ويحسن لك به الثواب إذا توفيت».

فقال بلال: «جزاك الله من ولي نعمة وأخ في الإسلام خيراً، فوالله ما أمرك لنا بالصبر على طاعة الله والمداومة على الحق والعمل الصالح ببذع. وما أريد أن أؤذن لأحد بعد رسول الله ﷺ».

وانضم بلال إلى المسلمين الذين اجتمعوا للخروج مع سعيد بن عامر وساروا نحو الشام وشهد بلال رضي الله عنه العديد من المعارك على أرض الشام حتى فتحت بيت المقدس، وعندها توسل المسلمون إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يحمل بلالاً على أن يؤذن لهم صلاة واحدة، ودعا أمير المؤمنين بلالاً وقد حان وقت الصلاة ورجاه أن يؤذن لها، وامتنل بلال لذلك الأمر طاعة لأمير المؤمنين، وصعد فأذن في ساح المسجد الأقصى المبارك.. فبكى الصحابة الذين أدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلال يؤذن له، بكوا كما لم يبكوا من قبل أبداً.. وكان عمر.. أشدهم بكاءً!!

لقد أعلن بلال شعار الإسلام في بيت المقدس كما أعلنه في مكة المكرمة، فحاز الشرفين معاً والأجرين العظيمين معاً، فعن جابر أن رجلاً قال: «يا رسول الله، أي

١٨٧ ابن عساکر ١/٤٤٥.

الخلق أول دخولاً الجنة؟ قال: الأنبياء. قال: ثم من؟ قال: الشهداء. قال: ثم من؟ قال: مؤذنون المسجد الحرام. قال: ثم من؟ قال: مؤذنون بيت المقدس. قال: ثم من؟ قال: مؤذنون مسجدي هنا. قال: ثم من؟ قال: سائر المؤذنين على قدر أعمالهم»<sup>١٨٨</sup>.  
 هذا عدا عما ذكره النبي ﷺ من فضل للمؤذنين فقال: «المؤذن يغفر له مدى صوته، ويشهد له كل رطب ويابس، وله مثل أجر من صلى»<sup>١٨٩</sup>. وعن عيسى بن طلحة قال: سمعت معاوية رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة»<sup>١٩٠</sup>.

### (٢٩) نهى النبي ﷺ عن استقبالهما ببول أو غائط

جاء في حديث رواه الإمام أحمد عن معقل بن أبي معقل الأسدي (أن رسول الله ﷺ نهى أن نستقبل القبلتين ببول أو غائط)<sup>١٩١</sup>. والقبلتان هما: الكعبة والمسجد الأقصى. وهذا الحديث يدل على ما للقبلة من مكانة عظيمة يجب أن تقر في النفوس وتستحضرها العقول في كل الأحيان وجميع الأحوال والأوقات.. وعن هذا الحديث ذكر الفقهاء أن العلة في النهي أنه لإظهار الاحترام والتعظيم للقبلة واستدلوا على التعليل بما روى من حديث سراقه بن مالك عن رسول الله ﷺ: (إذا أتى أحدكم البراز فليكرم قبلة الله عز وجل ولا يستقبل القبلة). وقد جاءت روايات أخرى منها: (لا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها) وهي عن أبي هريرة رضي الله عنه.. ومنها أيضاً ما روي عن أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أتيتم الخلاء فلا تستقبلوا القبلة بغائط ولا بول ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا. قال أبو أيوب: فقدمنا الشام فوجدنا مراحيض قد بنيت نحو الكعبة فنحرف عنها ونستغفر الله عز وجل)<sup>١٩٢</sup>.

ولسنا هنا بمعرض ذكر الآراء الفقهية في هذا الموضوع خاصة مع ورود أحاديث أخرى تُرخص في ذلك كحديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنه قال: (رقيت يوماً على بيت حفصة فرأيت النبي ﷺ يقضي حاجته مستقبلاً الشام مستدبر الكعبة وفي رواية مستقبلاً بيت المقدس)<sup>١٩٣</sup>.

١٨٨ الشفا في التعريف بحقوق المصطفى ص ١٤٨.

١٨٩ رواه أبو داود والنسائي واللفظ له.

١٩٠ رواه مسلم.

١٩١ رواه أحمد ٤/٢١٠.

١٩٢ متفق عليه.

١٩٣ متفق عليه.

إذ أن الفقهاء اختلفوا في جواز ذلك في البنيان أو في الصحراء.. وما يعنينا هنا هو ربط النبي ﷺ بين القبلتين معاً في ذلك الأمر بما يعني أن للقبلة الأولى مكانة قائمة يجب مراعاتها دائماً وأخذها بعين الاعتبار..

ولابد لنا هنا من وقفة مع أمتنا نقول لها: إذا كان رسول الله ﷺ ينهانا أن نخدش مكانة القبلتين في نفوسنا في مسألة قد يظن البعض أنها شكلية وبسيطة فكيف نغض الطرف عن ما تتعرض له قبلتنا الأولى على أيدي إخوان القردة والخنازير من تهديد حقيقي وتدليس كلي جهاراً نهاراً على مرأى من العالم ومسمع.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

### (٣٠) مكة المكرمة وبيت المقدس.. أسماء عديدة

تعارف العرب على أن كثرة الأسماء تدل على علو مكانة المسمى وشرفه وعلو قدره وهو ما اشتركت به مكة المكرمة مع بيت المقدس بشكل واضح جلي.. فلمكة المكرمة العديد من الأسماء الدالة على شرفها ومكانتها، فمن أسمائها: مكة وبكة وبيرة وبساسة وأم القرى والحرم والمسجد الحرام والبلد الأمين وزحم ومزاحم والناسة والباسة وصلاح وكوث وكوثي والقادس والمقدسة وأم رحم والبنية والبيت العتيق والحاطمة وسيل وفاران وكراع الرأس والعرش، وغير ذلك من الأسماء.

أما بكة فقد سميت بذلك لأنها كانت تبكُ أعناق الجبابرة إذا ألدوا فيها بظلم، وقيل لأن الناس يتباكون فيها من كل وجه أي يتزاحمون وقال يعقوب بكة ما بين جبلي مكة لأن الناس يبك بعضهم بعضاً في الطواف أي يزحم، وقال الزجاج في قوله تعالى: «إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً» قيل إن بكة موضع البيت وسائر ما حوله مكة<sup>١٤</sup>.

وأما بساسة والبساسة فقد سميت كذلك في الجاهلية لأنها كانت تبس من بغى فيها حتى تخرجه منها.

والباسة: قال الخطابي: لأنها تبس من ألد فيها، والبسن الحطم.

والنساسة والناسة: لأنها تنس من ألد فيها أي تطرده والنسن السوق: نس إبله إذا ساقها ومنه سميت المنسأة.

وكوثي: قيل لبقة بها تسمى كوثي وهي محلة عبد الدار.

وصلاح: يجوز أن يكون من الصلح لقوله عز وجل: «حرمناً آمناً» ويجوز أن يكون

١٩٤ لسان العرب ج ١٠ / ٤٠٢.

من الصلاح وقد قال القائل:

أبا مطر هلم إلى صلاح  
وتأمن أن ينالك رب جيش

والبيت العتيق: هو الكعبة وقيل من أسماء مكة سمي بذلك لعتقه من الجبارين أي لا يتجبرون عنده بل يتذللون، وقيل بل لأن جباراً لا يدعيه لنفسه وقد يكون العتيق بمعنى القديم وقد يكون بمعنى الكريم وكل شئ كريم وحسن قيل له عتيق.

والحاطمة: سميت بذلك لأنها تحطم من استهان بها.

ومكة: قيل سميت بذلك لقله مائها من قولهم أمتك الفصيل ضرع أمه إذا استخرج ما فيه هذا قول ثعلب وابن دريد وقال المفضل سميت مكة لأنها تمك الذنوب أي تستخرجها وتذهب كلها من قولهم مك الفصيل ضرع أمه..

والقاس: سميت بذلك من التقديس وهو التطهير لأنها تطهر من الذنوب وسميت أيضاً المقدسة.

وفاران: كلمة عبرانية معربة ذكرت في التوراة، وقيل اسم لجبال مكة.

أما مدينة القدس فمن أسمائها مدينة السلام (أور-سالم) وأورشليم وبيوس وإيلياء وبيت المقدس والبيت المقدس وشلم وشلام وسلم وأوري سلم ومدينة داود وصهيون ومصروث وكورشيليا والقدس والقدس الشريف.

فمدينة السلام (أور-سالم): هو أقدم اسم عرفه البشر لها، وقد وضعه لها أقدم سكانها العرب الكنعانيون، نسبة إلى إله السلام عندهم أو إلى سالم (شالم أو شاليم) وأور تعني مدينة باللغة السومرية، واسم أورشليم تحريف عن الاسم الكنعاني، والنطق العبري له هو (يروشاليم) والظاهر أن اليهود حرفوه أو «عبرنوه» حتى يتوهم الناس أن المدينة عبرانية الأصل.

وبيوس: نسبة إلى اليبوسيين وهم أول من سكن القدس.

إيلياء، وإيليا، واليا: وضع هذا الاسم الإمبراطور الروماني هديران وإيلياء اسم الجد أو العائلة للإمبراطور، وبقي هذا الاسم شائعاً حتى الفتح الإسلامي حيث ورد في بعض الأحاديث وفي العهد الذي كتبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل القدس.

قال الفرزدق :

وبيتان بيت الله نحن ولاته وقصر بأعلى إيلياء مشرف

وبيت المقدس والبيت المقدس والأرض المقدسة: أسماء وردت في أحاديث شريفة، وقد



قال الزجاج: البيت المقدس: المُطَهَّر ، وبيت المقدس: أي المكان الذي يُطَهَّر فيه من الذنوب. وقد مر بنا شعر ابن حجر: إلى البيت المقدس جئت أرجو..

وقد روي أن مروان ابن الحكم قال للفرزدق:

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها      إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس  
ودع المدينة إنها محذورة      والحق بمكة أو ببيت المقدس  
ومن أسمائها القرية، وإلى ذلك تشير الآية ﴿ادخلوا هذه القرية، فكلوا منها حيث  
شئتم رغداً، وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم﴾.

وصهيون: هو أصلاً اسم الحصن الذي استولى عليه داود عليه السلام حين انتزع المدينة المقدسة من اليبوسيين وأقام فيه وبنى المدينة حوله، ثم استعمل مرادفاً لمدينة داود، وربما اشتق من العربية -صهوة- بمعنى أعلى كل جبل، أو البرج في أعلى الجبل. والقدس: يظهر أنه غلب هذا الاسم على المدينة بعد العصر الأموي في بلاد الشام بخاصة، قال ناصر خسرو في رحلته سنة ٤٣٨هـ: وأهل الشام وأطرافها يسمون بيت المقدس «القدس». وقد ذكرها أبو العلاء المعري (المتوفى سنة ٤٤٩هـ) باسم القدس بقوله:

واخلع حذاءك إذا حاذيتُها وَرَعاً      كَفَعَلِ موسى كليمُ الله في القُدُسِ  
ولأبي فرج التميمي المعروف بابن الجوزي كتاب اسمه (فضائل القدس)، وللقاضي أمين الدين هبة الله الشافعي كتاب (الأنس في فضائل القدس)، ولشهاب الدين بن سرور المقدسي (مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام)، وقد حل هذا الاسم في العهد العربي والإسلامي محل إيلياء وأورشليم على أن بيت المقدس كان أكثر وروداً في مختلف المصادر.

**خلاصة:**  
**ما هو واجبنا تجاه القدس والمسجد الأقصى؟**

السؤال عن واجب كل فرد منتمٍ لأمة التوحيد تجاه الأقصى والقدس والقضية الفلسطينية بما تمثله من بعد ديني وقومي وحضاري، هو سؤال ملحٌ جداً فإدراك كل واحد منا لدوره المنوط به تجاه القدس والأقصى سوف يعجل كثيراً باقتراب يوم النصر المنشود، ويقرب من يوم تحرير بيت المقدس والأقصى وكل فلسطين من الغزاة الغاصبين..

ولعلنا من خلال ما قدمناه عبر الفصول السابقة قد خطونا خطوات مهمة لتبيان ذلك الواجب، ومن ذلك:

(١) الأخذ بأسباب العلم الشرعي بشكل عام وما يتعلق منه بقضية فلسطين والأقصى بشكل خاص، لأن التمسك بحقوقنا في فلسطين من خلال العقيدة والإيمان القوي أثبت وأرسخ من تمسكنا بها من خلال قرارات دولية أو قوانين وضعية أو حتى مشاعر عاطفية..

ولعل سر هزيمة المسلمين في فلسطين هو بعدهم عن دينهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم، والله عز وجل يوضح لنا حل قضية الإسرائء في سورة الإسرائء بقوله: «إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم».. فإذا كان اليهود ينطلقون في صراعهم معنا من منطلق عقائدي ديني فلماذا لا نواجههم من نفس المنطلق؟ وقد ثبت من خلال النماذج الجهادية الفذة على أرض فلسطين أن أحداً لا يستطيع الوقوف في وجه الغطرسة اليهودية سوى أولئك الشباب الذين ينطلقون من بيوت الله ويسابقون إلى الشهادة في سبيل الله منزليين بانفجارات أجسادهم أركان وأساسات الكيان الصهيوني البغيض.

(٢) الإحاطة بأبعاد القضية الفلسطينية وجذورها وتطوراتها من خلال الأسس والمنطلقات التالية:

أ. أن هذه القضية هي قضية المسلمين المركزية الأولى، فالعدو فيها واضح، والحكم الشرعي لا يلتبس على أحد، وفلسطين أرض عربية إسلامية من البحر إلى النهر وواجب تحريرها يقع على عاتق كل مسلم.

ب. أن معركتنا مع الصهاينة الغاصبين لأرض فلسطين معركة وجود لا معركة حدود.. ليست على بضعة كيلومترات هنا أو هناك، بل هي على كل أرض فلسطين الطاهرة.

(٣) التفاعل مع القضية: ومن مظاهر التفاعل معها الانشغال الدائم بها ومتابعة كل ما يجري على أرض الإسرائء والمعراج والاجتهاد في الدعاء لأهل فلسطين خاصة في

أوقات السحر وفي خطب الجمعة وفي أدعية القنوت النوازل.. وكذلك القيام بواجب التوعية بتلك القضية في المحيط الذي يعيش فيه الفرد: أسرته الصغيرة وجيرانه في السكن وزملاء العمل وأصدقاء العمر.. وبقدر الصدق في الانفعال يكون التأثير في الناس كبيراً وكلما ازداد التأكيد على المعاني بتكرار الحديث إلى الناس والإلحاح في الدعاء كلما ترسخ الاهتمام بالقضية الفلسطينية في النفس وازداد الشعور بخطورتها وأهميتها.

(٤) الأمة مدعوة اليوم لنبد طريق الفرقة والعمل الجاد من أجل الوحدة بين الدول العربية والإسلامية لأن الوحدة هي طريقنا إلى النصر، وإن تبعة ذلك يتحملها القادة والعلماء والمفكرون والدعاة فهم الذين يضعون البرامج والخطط والناس إنما هم تبع لهم، وكلما كانت الآمال والأهداف كبيرة جامعة كلما اجتمع الناس حولها، ولاشك بأن الأخطار المحدقة بأقصادنا المبارك والتسلط الذي وقع على الأمة من الصهاينة وأعدائهم الصليبيين يمثل أكبر جامع لهذه الأمة، وعليه فعلى جميع القوى الحزبية والشعبية أن تجتمع في إطار تجمع أو جبهة لنصرة فلسطين والدفاع عنها بحيث تكون هناك قيادة مشتركة لهذا التجمع تلتقي فيه قيادات العمل الإسلامي والوطني والقومي في كل بلد وقطر وتتفاعل في ما بينها وتعمل على تحريك الموقف الشعبي في بلادها للتأثير على الموقف الرسمي حتى يتم التصدي للمشروع الصهيوني ودرء مخاطره ومقاومة التطبيع وعزل المرؤجين له.

(٥) تحقيقاً للنقطة السابقة فيجب تبني عملاً شعبياً واسعاً من أجل الدفاع عن المسجد الأقصى ومناصرة الجهاد على أرض فلسطين، وذلك من خلال مؤسسات وهيئات وجمعيات شعبية وخيرية، حتى لو تعددت هذه الجهات في البلد الواحد، فإنها إن تكاملت أدوارها وتم التنسيق في ما بينها فسوف تكون أكثر نفعاً وأوسع أثراً. ولا بد هنا من الإشارة إلى ضرورة رفع كفاءة وفعالية الجمعيات الخيرية وذلك بعمل دورات تأهيلية للعاملين فيها وزيادة الوعي بأهميتها، وتفعيل المساجد والنقابات والتجار ووسائل الإعلام معها.

(٦) تشكيل لجان شعبية وحزبية لمقاومة التطبيع ومقاومة المطبوعين وفضح عمالتهم وارتباطهم مع الصهاينة، ونشر قوائم المنتجات والشركات المطلوب مقاطعتها والعمل على إيجاد البديل الوطني العربي والإسلامي قدر الاستطاعة.

(٧) تقديم الدعم الإعلامي بالدعاية لقضية فلسطين والعمل على تحريك

المشاعر نحوها، وذلك بإعداد الأفلام الوثائقية والتعريفية بالقضية الفلسطينية على غرار أفلام: «بيان من مآذن القدس» و«القدس.. وعد السماء» و«مآذن في وجه الدمار» و«دير ياسين.. الوجع» و«أبطال الانتفاضة» و«المهندس» و«على حدود الوطن»، وغيرها..

وإعداد البرامج الخاصة بها وبمناسباتها كذكرى إحراق المسجد الأقصى وذكرى الإسراء والمعراج وذكرى الفتح العمري والصلاحى والذكريات المؤملة للمذابح التي ارتكبتها اليهود على أرضنا، مع تسليط الضوء على ما يجري هناك. وتخصيص صفحات خاصة بالقضية الفلسطينية تتابع آخر الأخبار والمستجدات على الساحة الفلسطينية وذلك في كل صحيفة ومجلة. وطباعة المواد الإعلامية والدعائية حول قضية القدس والأقصى وفلسطين.

(٨) تسليط الضوء على المسجد الأقصى من خلال برامج دينية وسياسية وثقافية للتعريف به وبمكائنه الرفيعة في ديننا وتسلط الضوء على الأخطار المحدقة به وكشف المحاولات الصهيونية الخبيثة الرامية لهدمه وتقويض بنيانه وزعزعة أساساته، والعمل على التصدي لها من خلال إظهار الغضب العارم على المستوى الشعبي والحكومي العربي والإسلامي والدولي بشتى الوسائل.

(٩) تخصيص مادة تعريفية بالمسجد الأقصى والقضية الفلسطينية لتدريسها ضمن المناهج الدراسية بمستويات مختلفة تغطي جميع المراحل الدراسية، ويتم من خلالها توعية الطلاب بمكانة الأقصى والقدس والتعريف بأبعاد القضية الفلسطينية والواجب تجاهها، والتعريف بالمشروع الصهيوني ومخاطره وكيفية مواجهته.

(١٠) القيام بعمل مؤاخاة بين المدن الفلسطينية وعلى رأسها القدس مع نظيراتها من المدن العربية، يتم فيها تخصيص أيام للتعريف بهذه المدن وجمع الدعم المالي لها.

(١١) دعم المشروع الذي دعا إليه الشيخ رائد صلاح الذي يتضمن إنشاء «صندوق عالمي للحفاظ على إسلامية القدس الشريف والأقصى المبارك» والذي يراد له أن يقوم بالآتي:

- أ. الحفاظ على الآثار الإسلامية وترميمها.
- ب. الحفاظ على المقدسات والأوقاف وإعمارها.
- ج. الحفاظ على البيوت القديمة خاصة المحيطة بالمسجد الأقصى المبارك.
- د. دعم المؤسسات الفلسطينية القائمة في القدس لتعزيز صمود أهلنا هناك.

- هـ. دعم موظفي الأقصى المبارك بشكل خاص، بما في ذلك حراسه ومؤذنه.
- و. دعم إعداد أفلام وثائقية عن القدس والأقصى المبارك.
- ز. إعداد نشرة شهرية أو تقرير سنوي دائم عن التجاوزات الصهيونية في القدس والأقصى المبارك.
- ح. دعم منح دراسات عليا عن القدس الشريف، والأقصى المبارك.
- ط. تشكيل لجنة علماء آثار من الثقات لبحث وفحص ما يجري تحت الأقصى المبارك، وتوثيق الوضع القائم أو أي متغيرات.
- ي. إقامة مكتب إرشاد سياحي ثابت في الأقصى المبارك.
- ك. العمل على إحياء ذكريات تاريخية عن القدس والأقصى كيوم حطين، أو يوم البيارق، أو يوم عين جالوت.
- ل. رعاية مسابقة معلومات عالمية عن القدس والأقصى.
- م. رعاية مسابقة عالمية في الشعر، والأدب، والمسرح والنشيد، حول القدس والأقصى، وأن يقام لها مهرجان عالمي يرفع المتسابقين، والفائزين، ويقدم لهم الجوائز.
- ن. رعاية مسابقة عالمية للأطفال تشمل مسابقة معلومات ومسابقة رسم.
- ص. نقل جميع الصلوات في المسجد الأقصى المبارك نقلاً حياً ومباشراً عبر الفضائيات أو موقع في الإنترنت.
- ع. إعداد دائرة معارف عن القدس والأقصى المبارك.
- ف. إعداد وثيقة شرف تؤكد أهمية القدس والأقصى وتؤكد حرمة التفريط فيهما، بحيث تحظى هذه الوثيقة بتوقيع علماء المسلمين ودعاتهم والقيادات السياسية الفاعلة والصادقة في عالمنا الإسلامي والعربي، لتصبح مرجعية تعامل مع القدس الشريف والأقصى المبارك.
- ق. اعتماد مكتب ثابت في القدس الشريف أو أكنافه لمتابعة تنفيذ هذه التوصيات والمقترحات<sup>١٩٥</sup>.

(١٢) لاشك أن الهدف الأسمى من وراء كل ما تقدم هو حشد كافة الجهود لتصب في مشروع تحرير الأرض المقدسة وإجهاض المشروع الصهيوني، ولأن ذلك لا يمكن إنجازه في زمن قصير، كما أنه بحاجة إلى التدرج فيه، فالمطلوب الآن هو دعم قوى المقاومة والجهاد الذي تقوم به الفئة المؤمنة الظاهرة على الحق في بيت المقدس وأكناف

١٩٥ الشيخ رائد صلاح - عن مقال له في مجلة المجتمع الكويتية العدد ١٤٠٦ بعنوان «القدس مشروع تحرير متواصل».

بيت المقدس، فلئن كان ذروة سنام الإسلام هو الجهاد، فإن ذروة سنام الجهاد هو الجهاد على أرض فلسطين ضد اليهود المحتلين، وعليه فيجب القيام بواجب الدعم في شتى المجالات. ولعل أهمها الدعم السياسي والإعلامي بالدفاع عن حق مقاومة المحتل وإعطائه الغطاء والشرعية اللازمة وتنفيذ الدعاوى اليهودية والأميركية المغرضة بوصفه بالإرهاب.

وكذلك يجب أن تتضافر الجهود لدى هذه الفئة بالدعم المالي من جميع فئات المجتمع بتخصيص جزء من زكاة المال لها، وإقطاع الأوقاف لدعمها ودعم مشاريع الأقصى الشريف القائمة فيه.

ونقف هنا عاجزين عن حصر السبل والوسائل الكفيلة بدعم قضيتنا المركزية الأولى في فلسطين لنترك الباب مفتوحاً أمام كل مؤمن بعدالة هذه القضية وحقنا الثابت فيها ليبدع في دعمها وخدمتها والبذل لأجلها..

وإنني أطمح أن يكتب الله لي هذا العمل المتواضع ضمن الجهود المنصبة لأجل نصرته الأقصى المبارك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

## مراجع مستخدمة

- (١) الأرض المقدسة بين الماضي والحاضر والمستقبل - إبراهيم العلي - منشورات فلسطين المسلمة/لندن، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م .
- (٢) إمتاع الأسماع الجزء ١، المقريري - شرح محمود شاكر، الطبعة الثانية، الشئون الدينية بدولة قطر .
- (٣) بيت المقدس والمسجد الأقصى - محمد محمد حسن شراب، دار القلم/دمشق، الدار الشامية/بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
- (٤) تاريخ القدس العربي القديم - خالد عبد الرحمن العك، مؤسسة النوري/دمشق، الطبعة الأولى ١٩٨٦م .
- (٥) حدائق الإنعام في فضائل الشام - عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي/تحقيق: يوسف بديوي، دار المكتبي/دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .
- (٦) حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية، د. صلاح الخالدي، منشورات فلسطين المسلمة/لندن، الطبعة الثالثة ١٩٩٨م .
- (٧) الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين - غالي محمد الشنقيطي، دار القبلة/جدة، مؤسسة علوم القرآن/بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .
- (٨) الرحيق المختوم، صفى الدين المباركفوري، الطبعة الثانية، رابطة العالم الإسلامي .
- (٩) سيرة مدينة القدس - خالد محمد غازي، دار الهدى/القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٨م .
- (١٠) صحيح القصص النبوي - د.عمر سليمان الأشقر، دار النفائس/عمان، الطبعة الثانية ١٩٩٧م .
- (١١) صور من حياة الصحابة، د. عبد الرحمن رأفت الباشا، مؤسسة الرسالة/بيروت، الطبعة الثانية عشرة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- (١٢) الطريق إلى القدس، د. محسن محمد صالح، منشورات فلسطين المسلمة، الطبعة الثالثة/لندن ١٩٩٨م .
- (١٣) فضائل الأعمال، الحافظ ضياء الدين محمد المقدسي، دار الكتب العلمية/بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م .
- (١٤) فلسطين بين المنهج الرباني والواقع - د.عدنان النحوي، دار النحوي، الطبعة الرابعة ١٩٩٣م .
- (١٥) فلسطين والقدس في التاريخ - وكالة الأنباء الكويتية/كونا، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م .
- (١٦) فلسطين والوعد الحق - مجموعة مؤلفين..رئيس التحرير: د.إسحاق أحمد فرحان، شركة الزاد المحدودة/إسبانيا، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٤م .
- (١٧) في ظلال القرآن - سيد قطب، دار الشروق/بيروت، الطبعة الخامسة عشرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- (١٨) قبل أن يهدم الأقصى - عبد العزيز مصطفى، دار طيبة/الرياض، الطبعة الأولى ١٩٨٩م .
- (١٩) القدس بين رؤيتين - حسن مصطفى الباش، دار قتيبة/دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ -



- ١٩٩٧م.
- (٢٠) القدس تاريخ وحضارة - عبلة المهدي الزبدة، دار نعمة/بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- (٢١) القدس ماضيها، حاضرها، مستقبلها ﷺ فايز فهد جابر، دار الجليل/عمان، الطبعة الأولى ١٩٨٥م.
- (٢٢) لا طريق غير الجهاد لتحرير المسجد الأقصى، د. مجاهد بن مجدد الدين بن صلاح الدين، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- (٢٣) لطائف المعارف - ابن رجب الحنبلي، مؤسسة الريان/المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.
- (٢٤) مختصر زاد المعاد - ابن قيم الجوزية، اختصار الشيخ محمد عبد الوهاب، مكتبة جدة.
- (٢٥) المدخل إلى القضية الفلسطينية - مجموعة مؤلفين/تحرير جواد الحمد، مركز دراسات الشرق الأوسط/عمان، الطبعة السادسة ١٩٩٩م.
- (٢٦) مدينة القدس - د. إسحاق موسى الحسيني، دار القلم/دمشق، الدار الشامية/بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
- (٢٧) المسجد الأقصى المبارك - عبد الحميد الشاقلدي، مكتبة الشباب/عمان، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
- (٢٨) مكانة القدس في الأديان السماوية - د. وهبة الزحيلي، دار المكتبي/دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
- (٢٩) نداء من الأقصى ومدينة القدس - الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية/الكويت، ١٩٩٩م.
- (٣٠) مجلة المجتمع الكويتية - العدد ١٤٠٦ بتاريخ ٢٧/٦/٢٠٠٠م.
- (٣١) أقراص الكمبيوتر (C.D) التالية :
- ❖ القرآن الكريم - صخر - ١٩٩٧م.
- ❖ الموسوعة الشاملة للأحاديث النبوية عن جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ - مجموعة خليفة للكمبيوتر.
- ❖ موسوعة القدس - شركة سفير/القاهرة، إعداد م. محمد حسن.
- ❖ المكتبة الألفية للسنة النبوية - مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- ❖ مكتبة التفسير وعلوم القرآن - مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- ❖ مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية - مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- ❖ مكتبة السيرة النبوية - مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- موقع «المركز الفلسطيني للإعلام» على شبكة الإنترنت [www.palestine-info.info](http://www.palestine-info.info).

## الفهرس

٥	إهداء
٧	مقدمة
٩	<b>الفصل الأول: تعريف عام بالقدس والمسجد الأقصى</b>
١١	(١) وصف المسجد الأقصى
١١	(٢) حدود المسجد الأقصى
١٢	(٣) القباب والأسبلة والآبار الموجودة في ساحات المسجد الأقصى
١٣	(٤) مآذن المسجد الأقصى
١٤	(٥) أروقة المسجد الأقصى
١٤	(٦) المسجد الأقصى (مسجد عمر)
١٥	(٧) مسجد قبة الصخرة
١٦	(٨) جغرافية القدس
١٦	(٩) أهم جبال القدس
١٧	(١٠) أسوار مدينة القدس وأبوابها
١٨	<b>الفصل الثاني: بين المسجد الأقصى والبيت الحرام</b>
٢١	(١) البيت الأول.. والثاني
٢٣	(٢) آدم عليه السلام.. أول من بنى المسجدين
٢٤	(٣) إبراهيم عليه السلام.. رفع قواعد المسجدين
٢٥	(٤) دعاء إبراهيم عليه السلام
٢٦	(٥) آثار الخليلين في المسجد الأقصى والبيت الحرام
٢٩	(٦) العرب.. سكان مكة وبيت المقدس الأوائل
٣١	(٧) القبلة
٣٤	(٨) المبدأ.. والمعاد
٣٧	(٩) الإسراء من البيت الحرام إلى بيت المقدس
٣٩	(١٠) صلاة النبي ﷺ إماماً فيهما
٤٢	(١١) جمعتهما آية واحدة
٤٥	(١٢) البركة
٤٨	(١٣) مهبط الملائكة
٤٨	(١٤) دعاء النبي ﷺ
٥٠	(١٥) مضاعفة الأعمال في بيت المقدس
٥١	(١٦) مضاعفة السيئات

٥٢	.....	(١٧) مغفرة الذنوب
٥٤	.....	(١٨) فضل الإحرام من المسجد الأقصى بالحج والعمرة
٥٦	.....	(١٩) شدّ الرّحال
٥٧	.....	(٢٠) هجرة لا تنقطع
٦٠	.....	(٢١) العصمة من الدجال
٦٣	.....	(٢٢) قرّة عين النبي ﷺ
٦٨	.....	(٢٣) وادٍ غير ذي زرع.. جبل غير ذي زرع
٦٩	.....	(٢٤) مجاورة مكة والقدس لأخصب البقاع
٧٠	.....	(٢٥) زمزم وعين سلوان
٧٤	.....	(٢٦) حجر مبارك.. وصخرة مباركة
٧٧	.....	(٢٧) فتح مكة وفتح بيت المقدس
٨٠	.....	(٢٨) أذان بلال
٨٢	.....	(٢٩) نهى النبي ﷺ عن استقبالهما ببول أو غائط
٨٣	.....	(٣٠) مكة المكرمة وبيت المقدس.. أسماء عديدة
٨٦	.....	<b>خلاصة: ما هو واجبنا تجاه القدس والمسجد الأقصى؟</b>
٩٢	.....	<b>مراجع مستخدمة</b>
٩٤	.....	<b>الفهرس</b>



لبنان - بيروت - شارع الحمراء - بناية السارولا - الطابق ١١  
هاتف: ٧٥١٧٢٤/٧٥١٧٢٥-١-٩٦١ فاكس: ٧٥١٧٢٦-١-٩٦١  
العنوان البريدي: بيروت - الحمراء ١١٣/٥٦٤٧  
البريد الإلكتروني: [alquds\\_institution@yahoo.com](mailto:alquds_institution@yahoo.com)  
الموقع الإلكتروني: [elquds.netwww](http://elquds.netwww)